



**الناصر داوود صاحب الكرك  
ودوره في النزاع الداخلي  
للأسرة الأيوبية**

(٦٢٤ - ٦٥٦ هـ / ١٢٢٧ - ١٢٥٨ م)

**د. إبراهيم فرغلي محمد**  
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد  
كلية دارالعلوم - جامعة الفيوم





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين، وبعد...

فهذا بحث في التاريخ الإسلامي بعنوان: "الناصر داود صاحب الكرك ودوره في النزاع الداخلي للأسرة الأيوبية سنة (٦٢٤ - ٦٥٦ هـ / ١٢٢٧ - ١٢٥٨ م) وقد شجعني على كتابة هذا البحث ما تعلمته من أساتذة التاريخ الكبار والرواد في هذا المجال، وهو البحث عن الجديد، سواء في شخصيات الحكام أو في الأحداث، مع الإثبات بالأدلة والبراهين، والحقيقة أن شخصية الناصر داود كان لها مكانة كبيرة في تاريخ الدولة الأيوبية على وجه الخصوص وفي التاريخ الإسلامي بوجه عام، كما أن الناصر داود قام بدور رئيس في النزاع الذي حدث بين أفراد الأسرة الأيوبية بعد وفاة القائد الكبير صلاح الدين الأيوبي، ولذلك اخترت هذه الشخصية لأنها تستحق الدراسة والبحث، والكشف عن أعماله وجهوده ونشاطه السياسي والحضاري ودوره في ميادين الصراع الداخلي للأسرة الأيوبية.

ومما لاشك فيه أن الملك الناصر داود الأيوبي كان من الشخصيات المرموقة في الأسرة الأيوبية وقد جمع بين العلم والشعر، والشجاعة والرئاسة، فكان ملك وكاتباً وفيلسوفاً وشاعراً وفارساً مقدماً سجل اسمه في سجل الخالدين.

وجدير بالذكر أن الفترة التي حكم فيها الناصر داود بلاد الشام هي فترة مهمة جداً وذلك لأن المنازعات بين أفراد الأسرة الأيوبية لم تقف مما جعل الدولة الأيوبية تتعرض لمطامع الصليبيين وغيرهم فاضطر ملوكها إلى عقد معاهدات لكي يتفرغوا لحروبهم المحلية وبعد وفاة المعظم عيسى سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م بدمشق خلفه ابنه الناصر داود على حكم البلاد التي كان يحكمها وهي الشام والشويك والكرك وعجلون ونابلس وما تابعها وقد قاد البلاد بحكمة وشجاعة ولكن تطورت الأحداث بعد ذلك ودخل الأيوبيون في صراع داخلي مما اضطر الناصر داود إلى أن يترك دمشق



ويستقر في الكرك ويجعلها عاصمة له إلا أن الصراعات والحروب الأهلية لم تهدأ في الدولة الأيوبية حتى توفي الناصر داود سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م.

وهذا البحث هو محاولة للكشف عن حقيقة النزاع الداخلي للأسرة الأيوبية وبيان دور الناصر داود فيها وتسليط الضوء على شخصيته من حيث إيجابياته وسلبياته، وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر متنوعة عربية وأجنبية وقارنت بين الروايات دراسة تحليلية نقدية قائمة على المنهج التاريخي.

والله أسأل أن ينفع به، وهو سبحانه من وراء القصد

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب،،،



## الناصر داوود مولده ونشأته ( ٦٠٣ - ٦٥٦ هـ / ١٢٠٧ - ١٢٥٨ م )

هو الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر الأيوبي<sup>(١)</sup>

ولد بدمشق في جمادي الآخرة سنة ٦٠٣ هـ / يناير ١٢٠٧م، وهو أكبر أولاد المعظم عيسى، وكان يلقب بالحاكم داود، وكان فاضلاً ناظماً للشعر ناثراً، بصيراً

(١) اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٧ م، ج ٤، ص ١٣٩.

- ابن شاکر الکتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر. بيروت، ١٩٧٤م، ج ١، ص ٣٨٩

- أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (د.ت)، ج ١، ص ٤٤٥  
- الذهبي : سير أعلام النبلاء، ط ٣، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥ م، ج ٢٣ ص ٣٨٦.

- حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله ت ١٠٦٧م): - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إستانبول ١٩٤١م، ج ١، ص ٥٥٨ .

- العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٨م، ج ١ ص ٥٨.

- النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ن ١٩٩٠ ، ج ١ ، ص ٢١ ، ٣٦٦ .

- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، تحقيق محمود الأرنؤاقوط ، لبنان ١٩٨٦ م ، ج ٥ ، ص ٣٦٦ .

ابن الوردی : تاریخ ابن الوردی ( تتمة المختصر في أخبار البشر ) دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٩٩٦ ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

- د. موسى العليلى : الناصر داود وشعره الحزين ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد ٨٢٨ ، سنة ١٩٨٦ م ، ص ١١٤ - ١١٦ .



بالأدب<sup>(١)</sup> قرأ العلوم العقلية على الشيخ شمس الدين الخسروشاهي<sup>(٢)</sup> وكان فقيهاً حنفياً ذكياً<sup>(٣)</sup> صنف له الحصري<sup>(٤)</sup> كتاباً أسماه خير المطلوب في العلم المرغوب<sup>(٥)</sup>.

وقد وصفه المؤرخ الكبير ابن واصل - بعد أن حضر مناظرة له - بأنه كان - رحمه الله - جيد المناظرة، صحيح الذهن، له في كل فن مشاركة جيدة<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق على شيري ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ١٩٨٨ م ، ج ١٣ ، ص ١٩٨

والذهبي : العبر في خبر من غير ، تحقيق : أبو همام محمد - لبنان - دار الكتب العلمية - د . ت ، ج ٥ ، ص ٢٢٩ .

(٢) شمس الدين الخسر وشاهي ( ٥٨٠ - ٦٥٢ هـ / ١١٨٤ - ١٢٥٤ م ) هو عبد الحميد عيسى الخسروشاهي ولد بخسر وشاه، وهي من قرى تبريز واشتغل بالعقليات على فخر الدين الرازي ويرع في علم الكلام وتفنن في العلوم، وكان فقيهاً أصولها متكلماً محققاً بارعاً في المعقولات وأتقن العلوم الشرعية، قال ابن واصل إنه استفاد منه في العلوم النظرية مع الملك الناصر داود عندما كان يحضر مجلسه سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م.

انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٦ ، ص ٣٥ والسبكي : طبقات الشافعية ج ٨ ص ١٦١ .

(٣) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، لبنان (د.ت) ، ج ٧ ، ص ٣٤٦ ، والياضي: مرآة الجنان، ج ٤ ، ص ١٣٩ . والنويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٤ م ، ٢٩٩ ، ص ٤٤٥ .

(٤) الحصري: هو جمال الدين أبو المحامد الحصري، الشيخ الإمام العلامة، شيخ الحنفية، ولد سنة ٥٤٦هـ/١١٤٨م، وتفقه بخارى، ويرع وحدث بصحيح مسلم، درس وناظر وأفتى، وتخرج به الأصحاب، وسكن دمشق، وولي التدريس بالنورية، سنة ٦١١هـ/١٢٣٨م، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢٣، ص ٥٤، ٥٣.

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، مطبعة دار الكتب العلمية، القاهرة، (د.ت)، ج ٥ ، ص ١٠٨ .

(٦) أحمد الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية (د.ت)، ص ٢٤٩ .



ويعد الناصر داود من الشخصيات التي كان لها مكانة كبيرة في تاريخ الدولة الأيوبية على وجه الخصوص وفي التاريخ الإسلامي بوجه عام ، فقد قام بدور كبير في الأحداث السياسية بمنطقة الشام في زمنة وقد اتسم بصفات شخصية سامية ، فقد وصفه المؤرخون بأنه كان كثير المحاسن <sup>(١)</sup> كما أنه كان معنياً بتحصيل الكتب النفيسة<sup>(٢)</sup>.

والحقيقة أن والد المعظم عيسى صاحب دمشق، كان قد اعتنى به ، فتعلم على كبار الفقهاء والأدباء أمثال : محمد بن أحمد القطيعي<sup>(٣)</sup>، وأجازه أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي<sup>(٤)</sup>، ودرس النحو والصرف على ابن الحاجب<sup>(٥)</sup>

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ .

(٢) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث بيروت سنة ٢٠٠٠ م ، ج ١٣ ص ٣١١ .

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣٧٦، ومحمد بن أحمد القطيعي :هو أبو الحسن محمد، العالم المحدث، ارتحل إلى الموصل ودمشق، وهو مسند العراق، وشيخ المستنصرية أول ما فتحت، توفي سنة ٦٣٤هـ/٢٣٥م، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٨٩.

(٤) أبو الحسن المؤيد الطوسي : هو الشيخ الإمام المقرئ المؤيد بن محمد الحسن الطوسي ثم النيسابوري، مسند خراسان، ولد سنة ٥٢٤هـ/١١٢٥م، وسمع صحيح البخاري ومسلم، وحدث عنه الحصري، وابن الصلاح، والبرزالي، وابن النجار، توفي في القرن العشرين من شوال سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص١٠٥-١٠٧.

(٥) ابن الحاجب : الشيخ الإمام المقرئ الأصولي الفقيه، أبو عمرو عثمان بن عمر أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدويني الأصل الإنشائي المولد المالكي ، صاحب التصانيف .ولد سنة ٥٧٠هـ/١١٧١م، بإسنا من بلاد الصعيد، وكان أبوه حاجبا للأمير عز الدين موسى الصلاحي، اشتغل بالقاهرة ، وحفظ القرآن ، وأخذ بعض القراءات عن الشاطبي ، درس بجامع دمشق ، وبالنورية المالكية.

انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢٦٤.



وكان ملازماً على الاشتغال بالعلوم على اختلافها وشارك في كثير منها وحصل منها طرفاً جيداً<sup>(١)</sup> واستمر في طلب العلم والمعرفة حتى أصبح أديباً وفيلسوفاً وشاعراً، وتولى السلطان بدمشق بعد وفاة أبيه الملك المعظم عيسى سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م<sup>(٢)</sup> فأحبه أهلها، لكن عمه الكامل توجه من مصر ليأخذها منه ، فاستجد بعمه الاشرف، فجاء لنصرته، ثم تغير عليه ومالاً أخيه الكامل، وأوهم الناصر أن يصلح قضيته، فاتفقا عليه وحاصراه أربعة أشهر وأخذ دمشق منه ثم انتقل إلى الكرك وأعطى معها نابلس وعجلون وقرى بيت المقدس.

وقد اشترك الناصر داود في مناقشات علمية وأدبية مشهورة ، فقد حضر أول درس ألقى في المدرسة المستنصرية ببغداد، وكان الخليفة في روشن<sup>(٣)</sup> ينظر ويسمع الكلام وحضر جماعة من الفقهاء المرتبين بالمدرسة وغيرهم من المذاهب الأربعة، وباحث الناصر داود العلماء واستدل واعترض وناظر الفقهاء مناظرة حسنة وكان حين المناظرة ، صحيح الذهن له في كل فن مشاركة جيدة ثم قيام رجل من الفقهاء يقال له وجيه الدين القيرواني<sup>(٤)</sup> ومدح الخليفة بقصيدة منها قوله :

لو كنت يوم السقيفة شاهداً كنت المقدم والإمام الأعظما

(١)البغدادي : هدية العارفين ، أسماء المؤلفين والمصنفين ، دار إحياء التراث العربي ( د.ت ) ج ٥ ، ص ٣٦٠ .

واليونيني : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ١٢٧

(٢)ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٩٨ / الذهبي : العبر ج ٥ ص ٢٢٩ ، الكتبي : فوات الوفيات ج ١ ص ٣٨٩ .

(٣) رَوْشُنْ [مفرد]: ج رَوَاشِنُ: فتحةٌ أو خرقٌ في الحائط أو في السَّقْفِ يدخل منه الهواء والضوء "فتح الرَّوشن حتى يتجدد الهواء". شُرْفَة. معجم اللغة العربية المعاصرة

(٤) وجيه الدين القيرواني: هو أحد الفقهاء الذين قاموا بالتدريس في المدرسة الصاحبية، وهي من الدارس المالكية التي تقوم بتدريس الفقه المالكي، توفي سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م، انظر: ابن واصل: مفرج الكرب، ج ٥، ص ١٠٩، ١٠٨.





فقال الناصر داود: اسكت فقد أخطأت، فقد كان جد أمير المؤمنين العباس شاهداً يومئذ ولم يكن المقدم<sup>(١)</sup> فخرج مرسوم الخليفة بنفي ذلك الفقيه إلى القاهرة ثم خلع الخليفة على الناصر داود خلعا سنيه تتناسب مع مكانته العلمية<sup>(٢)</sup> وما كان ذلك إلا لمكانته العلمية ولاستحسان مناقشاته المدعمة بالأدلة، وكان يُجلّ العلماء ويكرم الشعراء فقد وفد عليه شرف الدين راجح بن إسماعيل الحلبي ومدحه، فوصل إليه ما يزيد على أربعين ألف دينار وأعطاه على قصيدة أخرى ألف دينار<sup>(٣)</sup>

وهكذا كان الناصر داود من الشخصيات المرموقة في الأسرة الأيوبية فقد جمع بين العلم والشعر والشجاعة والرئاسة فكان ملكاً وكتاباً وفيلسوفاً وشاعراً وفارساً مقداماً ومدافعاً عن الإسلام .

واهتم الناصر داود بالفلسفة مثل أبيه المعظم عيسى، فمع اشتغاله في نظم الشعر وحبه للأدب واللغة، فقد شغف بالفلسفة والمنطق.

وكما اهتم المعظم عيسى بالفلسفة ويعلمائها، كذلك فعل ابنه الناصر داود، والملك المنصور صاحب حماة، غير أنه بعد وفاة المعظم وتولى الأشرف حكم دمشق بعد انتزاعها من الناصر داود سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م، جرى تحريم الفلسفة والمنطق،

(١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ج ١ ، ص ١٢٦ .

وابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ، ص ١٩٨ .

(٢) اليونيني: مصدر سابق ج ١ ص ١٢٧ .

وموسى العليلى: الناصر داود وشعره الحزين، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) ولذلك قال في مدحه جمال الدين بن مطروح :

عليهم معتمد الجود

ثلاثة ليس لهم رابع

بالمملك الناصر داود

الغيث والبحر وعززهما

انظر: ابن شاکر : الكتبي: فوات الوفيات ج ١ ص ٢١٢ .

وابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٩٨ .



وكل ما كان يعرف بعلوم الأوائل، إذ أمر الأشرف مناديه في دمشق أن ينادي بأن لا يشتغل أحد من العلماء بشيء من العلوم سوى علوم التفسير والحديث والفقه ومن اشتغل بالمنطق والفلسفة وعلوم الأوائل فسوف ينفى من البلاد.<sup>(١)</sup>

وهذا الأمر بالطبع أدى إلى قلة عدد العلماء في هذا المجال بعد أن رأوا ما آلت إليه أحوال علماء الفلسفة وما أصابهم من فقر وفاقه نتيجة اشتغالهم بها، ومن المنطق تصور أن ينتشر تيار محاربة الفلسفة بين الفقهاء، فقد كان شيخ الشافعية بدمشق تقي الدين بن الصلاح<sup>(٢)</sup> لا يمكن أحداً في دمشق من قراءة المنطق والفلسفة والملوك تطيعه في ذلك<sup>(٣)</sup>

ورغم ذلك التيار المعارض لعلم الفلسفة إلا أنها لم تختف نهائياً فقد كان سيف الدين الأمدي<sup>(٤)</sup> يهتم بالفلسفة وقد استقبله المعظم عيسى بدمشق سنة ٦١٧

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٢٤ - ١٤٨ / النعيمي : الدارس في تاريخ العربي ، ص ٣٩٣ ،

(٢) تقي الدين بن الصلاح : الإمام الحافظ شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين الموصلية الشافعية، صاحب علوم الحديث، ولد سنة ٥٧٧هـ / ١١٧٨م، وتفقّه على والده بشهرزور، ثم اشتغل بالموصل مدة، وسمع بدمشق من القاضي أبي القاسم عبد الصمد وغيره، وكان من كبار الأئمة، وقد وصفه المحدثون بأنه إمام ورع، وافر العقل، متبحر في الأصول والفروع، وأجهد نفسه في الطاعة والعبادة، توفي في ربيع الآخر سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢٣، ص ١٤٠، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١م.

(٣) النعيمي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٤) سيف الدين الأمدي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن سالم، ولد بآمد بعد سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م وتلقى علومه الأولى بها ثم رحل إلى بغداد ودرس على كبار علمائها وفقهائها المذهب الشافعية والأصول وعلم الجدل والمناظرة ثم استقر في حماة وتقدم في علم الكلام وعلم المنطق وأصول الفقه، وكانت له تصانيف بديعة في جميع هذه الفنون انظر : القفطي : تاريخ الحكماء ص ٢٤٠ ، السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٨ ص ٣٠٦ لبيزج ١٩٠٣ م تحقيق محمد الطباي ١٩٦٤م



١٢٢٠/هـم، وعهد إليه بالتدريس في المدرسة العزيزية <sup>(١)</sup> وأحسن إليه، ولما توفي المعظم سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م، ازدادت مكانة سيف الدين لدى ابنه الناصر داود فأقبل عليه وأعطاه ثمانية آلاف درهم، اشترى بها جوسقاً <sup>(٢)</sup> وسقانا ولازم حضور مجلس الناصر داود بقية العلماء الذين كانوا يقفون ضده في المناظرات، وصنف سيف الدين بدمشق للملك الناصر كتاباً في العلوم العقلية سماه فرائد القلائد، طلبه الناصر منه فصنفه حسب اقتراحه <sup>(٣)</sup>

ومن الواضح أن العلوم العقلية لم ينشط أصحابها في ظل الدولة الأيوبية، بسبب مواقف ملوكها من الفلسفة والمنطق، فضلاً عن معارضة رجال الدين للفلسفة وتكفيرهم على انحراف أفكارهم ومعتقداتهم المضلل، والإفتاء بقتلهم إذا اقتضى الأمر <sup>(٤)</sup>.

(١) المدرسة العزيزية : كانت تقع ملاصقة للجامع الأموي ، أسسها العزيز بن صلاح الدين الأيوبي انظر : النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ، ص ٣٨٢ ، ١٩٥١م .  
(٢) الجوسق : هو الحصن، وقبل شبيه بالحصن، وهو معرب وأصله كوشك بالفارسية والجوسق يطلق أيضاً على القصر .انظر : ابن منظور : لسان العرب مادة جسق .

(٣) انظر : ابن واصل مفرج الكروب ج ٥ ، ص ٤٠

- وقد بقي سيف الدين الأمدي في دمشق إلى أن استولى عليها الأشرف والكمال من ابن أخيها الناصر داود سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م فأعرض الأشرف عن الأمدي وعزله عن التدريس بالمدرسة العزيزية، لأنه كان يرفض الاشتغال بعلوم الفلسفة فأقام الأمدي في جوسقه مضطهداً حتى وفاته سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٣م

انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ٢٦٤٧.

(٤) ومثال ذلك حين أفتى فقهاء حلب بقتل شهاب الدين أبي الفتح السهروردي الفقيه الشافعي، الذي لم يناظره مناظرة إلا خصمه وأفحمه، اتهم بالإلحاد والزندقة فقتل سنة ٥٨٧هـ / ١١٨٨م، وقد قارب الأربعين. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥، ص ٣١٧.



فعلت هذه المحنة الفلاسفة عن حلقاتهم العلمية في بلاد الشام، فعاشوا منعزلين<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ مما سبق أن التيار العام في مصر والشام والعراق في هذه الفترة كان يعارض علوم الفلسفة والمنطق والخلاف والجدل وبالتالي انحسرت هذه العلوم، وإن كان قد ظهر بعض الحكام أمثال المعظم عيسى صاحب دمشق، وابنه الناصر داود والمنصور صاحب حماة بتشجيعهم الفلسفة وما يتصل بها من علوم .

وقد اختلف الناصر داود في مذهبه الديني عن مذهب الأسرة الأيوبية فهو ووالده المعظم عيسى كانا على مذهب الإمام أبي حنيفة، وكانا يتعصبان لمذهبهما، وكان بنو أيوب جميعهم على مذهب الإمام الشافعي ، ولما عوتب المعظم عيسى في ذلك قال : أما ترضون أن يكون فيكم واحد مسلم<sup>(٢)</sup>

ويبدو أن اختلاف الناصر داود في ميوله واتجاهاته الفكرية المتمثلة في حبه للفلسفة ولاشتغاله بها، وفي مذهبه الديني كان أحد أسباب الحزن الذي كان يخيم عليه، فلم يزل منذ توفى والده سنة ٦٢٤هـ/١١٢٧م، إلى أن أدركته منيته سنة

(١) باشا: الأدب في بلاد الشام، ص ١٦٦.

وانظر: فادي عبد الرحيم محمود: الحركة الشعرية في بلاط الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز (٦٣٤. ٦٥٨هـ) رسالة ماجستير، نابلس، فلسطين سنة ٢٠١٠م، ص ٣٨-٣٩.

(٢) أحمد الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، ص ٢٤٢، والمقريزي: السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٢٤ .

وابن **خلكان**: وفيات الأعيان ج ٣ ، ص ٤٩٥ وابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ، ص ٢١٨

- ومن الجدير بالذكر أن سيطرة مذهبي الشافعية والحنفية على الحياة العلمية في ذلك الوقت لم يمنعا تطور مذهبي المالكية والحنابلة، بل شجعتهما هذه السيطرة على المناضلة لمحاولة التقدم والرقي فنجحا إلى حد كبير .



١٢٥٨/هـ ١٢٥٨م، وهو في تعب ونصب، فلم يصف له من عمره سنة واحدة<sup>(١)</sup> وكان ذلك الحزن أيضاً بسبب الاضطهاد الذي تعرض له من عمومته وأبناء عمومته .

### تطور الصراع بين الناصر داود وعمه الكامل محمد:

لقد كان لصراع السلطة بين أبناء صلاح الدين تأثيرات كبيرة ظلت آثارها ونتائجها مستمرة إلى فترة طويلة في الدولة الأيوبية، فبعد أن دخل المعظم عيسى صاحب دمشق في نوبة المرض في ذي القعدة سنة ٦٢٤هـ/نوفمبر ١٢٢٧م، وتوفي على أثر ذلك<sup>(٢)</sup>، خلفه في مملكته من بعده ابنه الناصر صلاح الدين داود وقام بتدبير أمور دولته مملوك والده عز الدين أيبك المعظمي صاحب صرخد.<sup>(٣)</sup>

(١) موسى العليلى: مرجع سابق، ص ١١٨-١١٩.

(٢) لمزيد من المعلومات عن الملك المعظم عيسى، راجع:

- أبو شامة: المزيل على الروضتين ص ١٥٢.

- ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٧١.

- ابن خلكان: وفيات الأعيان. ج ١، ص ٣٩٦.

- د.وفاء محمد علي: دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، دار الفكر العربي، سنة ١٩٨٩م، ص ١٠٥ وما بعدها.

-Van cleve: The fifth crusades, London,1958. P.408

- Michoud (J.F):Histoire des croisades, Tome, 2-3, paris,1822,tome,3,p.2.

(٣) عز الدين أيبك المعظمي: اشتراه الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م وعني بتربيته وتدريبه وقدمه على أولاده، وجعله استاداراً له أي المشرف على سكن السلطان، ثم ولاه صرخد، ولما توفي المعظم بقي أيبك في خدمة ولده الناصر داود، وسانده حين حاول عمه الكامل انتزاع دمشق منه. ولكنه دخل في طاعة الكامل سنة ٦٢٥هـ، بعد أن توثق لنفسه بأنه يظل على حكم صرخد. وكان عز الدين أيبك مشهوراً برجاحة العقل وحسن الإدارة والشجاعة، وقد ظلت صرخد بيده إلى أن استولى عليها الصالح أيوب في سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م، واعتقله في مصر، توفي عز الدين أيبك



ومن الجدير بالذكر أن انتقال الناصر داود إلى الكرك كان يشكل مملكة أيوبية جديدة، انقسمت على دمشق، وكان لهذه المملكة أن تشكل نقلاً مرجحاً بين ممالك الشام ومملكة مصر، حيث أخذ الأشرف والكمال يتنافسان، وكل منهما يسعى لاستقطاب الناصر، الذي كان شاباً تعوزه الحكمة والتمرس بالسياسة، ولكن كان هناك شيء أهم، وهو شخصية الناصر غير المستقرة، فقد كانت له نفس شاعر في غاية الرهافة تجعله يعيش في عالم يصوغه بخياله ويتصوره حقيقة، إضافة إلى مجانية التوفيق له على نحو دائم، ويبدو أن سبب ذلك عدم تمرسه بالحكم أيام والده، حيث كان متفرغاً للعلم والأدب، ويحرص على مجالسة الأدباء والمؤرخين والعلماء<sup>(١)</sup>.

وبعد وفاة والده أرسل الناصر داود إلى عميه الكامل والأشرف معزياً بأبيه، فأرسل الكامل إليه رسولا ومعه الخلع وسنجد<sup>(٢)</sup> السلطنة وطيب قلبه، وأقره على مملكة والده، فلبس الناصر خلعة عمه وركب بالسجد الواصل إليه<sup>(٣)</sup>.

وفي الحقيقة فإن المشاعر الطيبة التي أبدتها الكامل تجاه ابن أخيه الناصر داود ليست صادقة، فهو يخفي سروره بموت أخيه المعظم<sup>(٤)</sup> وقد توسعت مطامعه في

المعظمي في حبسه سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م، ودفن بمصر، ثم نقلت رفاته إلى تربته التي أنشأها بنفسه في دمشق.

انظر: ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٦٢، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٩٤، وأبو الفداء: المختصر ج ٢، ص ٢٨٤، ٢٠٦.

(١) د. منذر الحايك: الدولة الأيوبية قرن من الصراعات الداخلية، ص ٢٦٩.

(٢) السنجد: لفظ تركي فارسي معناه العلم أو الراية أو اللواء، انتشر ذكره في العصرين الأيوبي والمملوكي؛ انظر: مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٩٦م، ص ٢٥٩.

(٣) ابن واصل: مفرج الكرب ج ٤ ص ٢٢٤، أبو الفداء: المختصر ج ٣ ص ١٣٨، والمقريزي: السلوك ج ١ ص ٢٢٤، وأبو شامة: ذيل الروضتين ص ١٥٣.

(٤) المقريزي: السلوك ج ١ ص ٢٢٤.



اتساع مملكته، وبخاصة لأن الملك الناصر داود كان صغيراً في السن حين استلم الولاية بعد وفاة والده، وورث الناصر داود جميع المشكلات وسوء العلاقات التي كانت قائمة بين أبيه وعميه الأشرف والكمال، فما لبث الكامل أن التمس ذريعة لمهاجمة مملكة الناصر داود، فأرسل إليه طالبا منه التنازل عن قلعة الشوبك<sup>(١)</sup> ليجعلها خزنة له، فرفض الناصر طلبه<sup>(٢)</sup> فقرر الكامل الخروج إلى الشام لانتزاع دمشق منه، وعهد الكامل إلى ابنه الصالح أيوب بولاية العهد وجعله نائبه بمصر.

وخرج إلى الشام في رمضان سنة ٦٢٥هـ / أغسطس ١٢٢٨م<sup>(٣)</sup>.

وقد انزعج الناصر داود واستبد به الخوف والفرع، وكان قد انضم إلى الملك الكامل أخوه العزيز عثمان<sup>(٤)</sup> بن العادل الذي تطلع إلى انتزاع بعلبك<sup>(٥)</sup> من الأجد

(١) قلعة الشوبك: قلعة حصينة وحصين في أطراف الشام بين عمان وآيلة، وهي تقع على مرتفع أبيض، وقد وصفت بأنها قلعة مبنية بالحجارة البيضاء وزادت حصانة وصفة كبيرة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج ٣، ص ٣٧٠.

(٢) وجددير بالذكر أن الملك الكامل اتخذ من رفض الناصر داود التنازل له عن قلعة الشوبك ذريعة للخروج إلى الشام والاستيلاء على القدس وغيرها من مدن فلسطين التابعة للناصر داود.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤، ص ٢٢٥، والمقريزي: السلوك ص ٢٢٦، والعلمي: الأئس الجليل ج ١ ص ٤٠٥.

ومن الجدير بالذكر أن الملك الكامل عندما خرج إلى الشام كان في صحبته عدد من أمراء البيت الأيوبي منهم ابن أخيه الجواد يونس بن مودود، والمظفر محمود بن المنصور صاحب حماة.

(٤) العزيز عثمان: هو عثمان بن يوسف صلاح الدين، ولد سنة ٥٧٦هـ / ١١٧٧م، بمصر وتولى السلطنة بعد حروب مع أخيه الأفضل، وتوفي سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، بعد سقوطه أثناء رحلة صيد، وتولى الملك بعده ابنه الملك، انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١، ص ٦٢٦.

(٥) بعلبك: تنسب إمارة بعلبك إلى عز الدين فرخشاہ بن شاهنشاه بن أيوب الذي أقطعه صلاح الدين بعلبك سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م وحينما توفي فرخشاہ سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م آلت بعلبك إلى ابنه الأجد بهرام شاه وأقره صلاح الدين عليها، انظر: ابن الأثير: الكامل ج ١١ ص ٤٩١، وأبو الفداء: المختصر: ج ٣ ص ٦٥.



بهرام شاه<sup>(١)</sup> إلا أن الناصر داود منعه من ذلك فغضب وانضم إلى الكامل فوعده بتسليم بعلبك إليه<sup>(٢)</sup>.

وذكر المؤرخ ابن نظيف أن العزيز عثمان عندما سافر إلى الكامل سار الأمد صاحب بعلبك ونهب بلاد العزيز وهي بانياس وأعمالها<sup>(٣)</sup> وعندما بلغ ذلك الكامل أمر عساكره بنهب بلاد الناصر داود جزاء ما فعله فنهب بعلبك<sup>(٤)</sup>

ومهما يكن من أمر فحينما تأكد الناصر داود من خروج عمه الكامل للاستيلاء على ملكه أرسل الرسل تباعا إلى عمه الأشرف يستتجد به ضد عمه الكامل، وكان الأشرف مقيما بسنجار<sup>(٥)</sup> فقدم إلى دمشق فاستقبله الناصر استقبالا حافلا، وفي ذلك يقول المؤرخ ابن واصل "وكنت حينئذ بدمشق ... وفرح الناصر به

(١) بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، السلطان الملك الأمد مجد الدين أبو المظفر، ولي بعلبك بعد أبيه كان أديباً فاضلاً شاعراً، له ديوان شعر، قتل بدمشق سنة ٦٢٨هـ / ١٢٢٨م، انظر: الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٤٣.

(٢) أبو شامة: الروضتين ص ١٥٣، ابن نظيف: التاريخ المنصوري ص ١٦٢، ١٦٣، وابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ص ٢٣٥. ٢٣٨، والمقريزي: السلوك ج ١ ص ٢٢٦.

(٣) بانياس: بلدة قرب دمشق، انظر ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ج ١ ص ١٥٨ ط ١٨٥٢م.

(٤) ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، ط معهد الدراسات الشرقية، ١٩٦٠م ص ١٦٢، ١٦٣.

. وجدير بالذكر أن الفلاحين والسكان في بلاد الشام قد تأثروا وتضرروا كثيرا من المنازعات السياسية بين الأيوبيين رغم بعدهم كل البعد عن الاشتغال بالسياسة.

(٥) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة في سفح جبل، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٣٦٢، وابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ج ٢، ص ٧٤٣.





غاية الفرح وطاب قلبه وأقام الأشرف مدة يئتمه في بساتينها<sup>(١)</sup> وهكذا غدا حال الناصر في استجارته بعمه الأشرف ضد الكامل كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وقد أشار الأشرف على الناصر بالمضي معه إلى نابلس ليقوم بها ثم يسير هو لمفاوضة الكامل بتل العجول<sup>(٢)</sup> قرب غزة، فساروا ومعهما المجاهد صاحب حمص<sup>(٣)</sup>، وأقام الناصر بنابلس، وهنا غدر الأشرف بابن أخيه الناصر وأماط اللثام عن مطامعه، وتم عقد صفقة سياسة بينه وبين أخيه الكامل، اقتسما بموجبها مملكة الناصر وجرى الاتفاق على أخذ دمشق من الناصر وتسليمها للأشرف مع ما يتصل بها من البلاد إلى عقبة فيق<sup>(٤)</sup> ويكون للسلطان الكامل المناطق الواقعة بين عقبة فيق

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) تل العجول: يقع في الجنوب الغربي من مدينة غزة على الضفة الشمالية لوادي غزة، ويعود تاريخه إلى الألفية الرابعة قبل الميلاد، وكان له علاقة تجارية مع مصر وسوريا وجزيرة كريت وغيرها، وجرت في هذه المواقع العديد من المعارك الشهيرة في التاريخ الإسلامي من أبرزها ما دار دار بين الأيوبيين والصليبيين، وهو الآن من أهم المواقع الأثرية في فلسطين.  
انظر: رائد أحمد صالح: مدينة غزة، دراسة في جغرافية المدن، مطبعة الرنتيسي سنة ١٩٩٧م، فلسطين ص ٣-٥.

(٣) والملك المجاهد صاحب حمص هو شيركوه بن محمد، أسد الدين أبو الحارث، أعطاه صلاح الدين حمص لما مات والده سنة ٥٨١هـ / ١١٨٢م، فملكها ستاً وخمسين سنة، وكان بطلاً معروفاً بالشجاعة، وكانت بلاده ظاهرة من الخمر والمكوس، وله أخبار في الظلم والاعتقال والتعذيب، إلا أنه لا يشرب الخمر أبداً، ويلزم الصلاة في أوقاتها، توفي سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م، المقرئ: السلوك ج ١ ص ٢٢٧، ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ص ٢٣٠، ٢٣١، أبو الفداء: المختصر ج ٣ ص ١٤٠، وانظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٦، ص ٣١٦. والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢١٦.

(٤) عقبة فيق: ويقال أفيق، بالفتح ثم الكسر، والعامة تقول: فيق، قرية بالشام بين دمشق وطبرية، وعقبة فيق تتحدر إلى غور الأردن وهي تشرف على طبرية وبحيرتها، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١، ص ٢٣٣.



وغزة، وأن يعوض الناصر داود ببعض بلدان الجزيرة التابعة للأشرف وهي حران والرقبة والرها وسروح، وأن تنتزع بعلبك من الأمجد بهرام شاه وتعطى للعزیز عثمان بن العادل وتسلم سلمية<sup>(١)</sup> للمجاهد صاحب حمص<sup>(٢)</sup>، وحينما سمع الناصر داود نبأ الاتفاق رحل من نابلس قاصدا دمشق غير أنه بدلا من أن يحاول استمالة كبار الأمراء والقادة إلى جانبه ارتكب حماقة كبيرة عندما اختلف مع الأمير عز الدين أيك المعظمي فأحضره وأمر بضربه وإهانته وكان أيدمر من كبار قادة المعظم، فهرب بأتباعه وانضم إلى السلطان الكامل الذي أحسن إليه، فضغت قوات الناصر بذلك<sup>(٣)</sup>

وحينما رحل الناصر داود عائدا إلى دمشق لحق به عمه الأشرف تحت عقبة فيق بالغور واجتمع به وأخبره بالاتفاق الذي جرى مع السلطان الكامل، وأنه لا مناص من مخالفته وطلب منه التنازل عن دمشق والرضى بما تقرر له من البلاد الشرقية.

### الصراع على دمشق وحصارها:

وصل الناصر داود إلى دمشق وشرع في الاستعداد للحصار وقام سكان دمشق بنصرته أحسن قيام<sup>(٤)</sup>، وسار الأشرف على رأس كتيبة حلب وصاحب حمص

(١) سلمية: بلدية ناحية البرية من أعمال حماه على مسيرة يومين منها، وكانت تعد من أعمال حمص، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٠.

وهي الآن مدينة ومركز منطقة السلمية لمحافظة حماه، انظر: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، م ٣، ص ٦٤٨، إشراف: مصطفى طلاس، مركز الدراسات العسكرية ١٩٩٢م.

(٢) المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٢٢٧، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٣٠ - ٢٣١، أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٤٠.

(٣) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٥٥، ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ص ٢٣٦.

(٤) ويمكن أن نستنتج من ذلك مدى حب وتقدير أهل دمشق للناصر داود واعتزازهم به ووقوفهم إلى جانبه.



ومن انضم إليه من أصحاب الناصر<sup>(١)</sup> لأن معظم عساكره كانوا بالمشرق بإزاء الخوارزمي، ولما وصل الأشرف دمشق نزلها في ربيع الثاني سنة ٦٢٦ هـ / مارس ١٢٢٨م، وقطع عنها فروع نهر بردي، فخرج الدمشقيون وقاتلوا أصحاب الأشرف حتى أعادوا الماء إلى دمشق<sup>(٢)</sup>.

وأرسل الناصر مبعوثاً إلى جلال الدين الخوارزمي<sup>(٣)</sup>، يخبره بأن أعمامه قصدوه بسبب دخول والده معظم في طاعته ويحثه على الهجوم على خلاط عاصمة الأشرف ليشغله عن دمشق<sup>(٤)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن بعض المستشرقين كان يرى أن السلطان الكامل أصبح مستعداً للاتفاق مع الصليبيين حتى لا يتحالف الأخير مع ابن أخيه الناصر داود<sup>(٥)</sup>.

(١) مثل: الصالح إسماعيل والمغيث، وكريم الدين الخلاطي وكانوا جميعاً من أخلص أصحاب المعظم، انظر: ابن الأثير: الكامل ج ١٢ ص ٤٨٤.

(٢) أبو شامة: نيل الروضتين ص ١٥٤.

(٣) جلال الدين الخوارزمي: هو جلال الدين منكبرتي ابن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، وجلال الدين هذا هو آخر سلاطين الدولة الخوارزمية، وكانت فترة حكمه منذ سنة ٦١٧ وحتى سنة ٦٢٨ هـ / ١٢١٩ - ١٢٣١م، وقد وصفه المؤرخ ابن الأثير بأنه كان سيئ السيرة، قبيح التدبير لملكه، لم يترك أحداً من الملوك المجاورين له إلا عاداه ونازعه الملك وأساء مجاورته، انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط دار الكتاب العربي، سنة ١٩٨٦م، ج ١٢ ص ٢٣٠.

(٤) أحمد الحنبلي: شفاء القلوب ص ٣١٢، والعلمي: الأئسن الجليل ج ١ ص ٤٠٧، ٤٠٦.

وخلاط: هي قسبة أرمنية الوسطى، وهي بليدة عامرة مشهورة ذات خيرات كثيرة، وثمار يانعة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢، ص ٣٨، والقرواني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ت. أحمد حطيط، وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٣، ص ٣٦٠.

(٥) campell: the cruseades p + 05 Steuemon; cruseades in the east: 311



ولكن هذا الافتراض غير صحيح لأنه من الصعب على الناصر داود وهو في دمشق أن يقدم على التحالف مع الصليبيين خشية سكان دمشق الذين كانوا أكثر المسلمين إحساسا بالخطر الصليبي ولن يقبلوا لملكهم بالانحدار إلى التحالف مع العدو، إضافة إلى أن الناصر داود لم يكن في وسعه الاتصال بفردريك بعد أن أضحت دمشق محاصرة بقوات عمه الأشرف.

وكان الملك الكامل قد شغل لفترة في المفاوضات مع فردريك الثاني<sup>(١)</sup> ويعد عقد الصلح معه أرسل إليه الأشرف يحثه على سرعة القدوم إلى دمشق فرحل الكامل قاصدا دمشق ووصل إليها في جمادى الأولى ٦٢٦هـ/ إبريل ١٢٢٨م<sup>(٢)</sup> وأرسل إليه الناصر بعض أعيان دمشق لمفاوضته على الصلح ولكن الكامل أصر على تسليم دمشق وفشلت المفاوضات فاشتد الحصار على دمشق<sup>(٣)</sup> ومنعت القوافل التجارية من دخول دمشق حتى انقطعت المؤن والفواكه عن دمشق واشتدت الضائقة على أهل دمشق وبلغت القلوب الحناجر<sup>(٤)</sup>.

ويحكي أبو شامة عن بعض المعاصرين قائلا:

(١) فردريك الثاني: هو الإمبراطور الألماني فردريك الثاني إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة (٥٩٠. ٦٤٨هـ / ١١٩٤.١٢٥٠م) كان ألد أعداء البابوية التي وقعت عليه قرار الحرمان بسبب تأجيل مشروعه الصليبي، وقد جاء إلى المنطقة العربية على رأس الحملة الصليبية السادسة، ونجح في الحصول على القدس وبعض الأماكن في فلسطين، انظر: المقرئ: السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٢٨، ٢٣٢، إحصان عباس: العرب في صقلية ص ٣١٩

Kerr (Antony): the crusades p:90

Michoud: historiades crusades tome 3 p:2 paris 1816

Lone pool: a history of coiro p: 196 london 1902

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ص ٢٥٢.

(٣) أبو شامة: ذيل الروضتين ص ١٥٤، ١٥٥.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ص ٢٥٣، ٢٥٢، وأبو شامة: ذيل الروضتين ص ١٥٥.



" وسمعت والدي وجماعة من المشايخ الذين شاهدوا الحصارات المتقدمة في دولة أولاد صلاح الدين، يحكون أنهم ما رأوا أشد من هذا الحصار"<sup>(١)</sup>.

وكان من أشد الأمور التي أقلقنا الناصر داود أن الأموال لديه قليلة لأن معظم أمواله كانت بالكرك ولتقته في عمه الأشرف لم يحضر منها شيئاً.

وبعد أن طال مدة الحصار أدرك الناصر أنه لم يعد بمقدوره الصمود والمقاومة فاستقر رأيه على الخروج إلى عمه الكامل ليرى فيه رأيه فخرج ليلاً من قلعة دمشق في أواخر رجب سنة ٦٢٦ هـ / يونيه ١٢٢٩ م.

وجرى الاتفاق على إبقاء صرخد بيد عز الدين أيبك المعظمي وترك للناصر داود الكرك<sup>(٢)</sup> والشوبك والصلت والبقاء ونابلس وضواحي القدس وبيت جبريل ثم تنازل الناصر عن الشوبك لعمه الكامل.

وفتحت أبواب دمشق في أول شعبان ٦٢٦ هـ / يونيه ١٢٢٩ م، ودخل الكامل إلى المدينة وتسلمها وكان لسقوطها أسوأ الأثر في نفوس أهلها فعمهم الحزن والأسى رغم انفراج الأزمة الاقتصادية في دمشق عقب الصلح.

وحينما تسلم الكامل دمشق سلمها إلى أخيه الأشرف وبعث الكامل نوابه إلى البلاد الشرقية التي تقرر تسليمها له وهي حران والرقّة والزها وسروج ورأس عين، وجملين والموزر<sup>(٣)</sup>، واحتفظ الكامل بقلعة دمشق مؤقتاً حتى تسليم نوابه البلاد الشرقية من نواب الأشرف فسلم القلعة إليه<sup>(٤)</sup>

(١) أبو شامة: مصدر سابق ص ١٥٥.

(٢) الكرك: قلعة حصينة في طرف الشام بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، على سن جبل عال، تحيط به أودية من جهة الرض، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٦، ص ٢٤٠.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٤ ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٢ ص ٤٨٤.



## استقرار الناصر داود في الكرك:

وذهب الناصر داود إلى الكرك واستقر بها وكان الكامل قد بعث قبيل الاستيلاء على دمشق بفرقة عسكرية للاستيلاء على الكرك إلا أن حامية الناصر داود بالكرك تمكنت من انزال الهزيمة بفرقة الكامل وأسرت قائدها<sup>(١)</sup>

وفي سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م توجه الكامل إلى الكرك، وعندما علم الناصر بذلك أمر بإقامة الاحتفالات ابتهاجا بمقدمه فقام الكامل بتوطيد علاقته بالناصر حيث عقد له على ابنته عاشوراء خاتون شقيقة ولي عهده العادل الثاني<sup>(٢)</sup>

وقد علق ابن واصل على هذه المودة بقوله: " ولو كان الناصر التجأ إلى عمه في أول الأمر لم تخرج بلاد أبيه من يده"<sup>(٣)</sup> ولكننا نفترض عدم صحة هذا الرأي ، فأطماع الكامل لم تكن تقف عند حد وقد اثبتت الحوادث بعد ذلك صحة هذا الافتراض.

وفي أواخر شعبان ٦٢٩هـ / يونيه ١٢٣١م رحل السلطان الكامل من الكرك وصحبته ابن أخيه الناصر داود، كما وصل إليه المظفر صاحب حماة<sup>(٤)</sup>، وتوجهوا

(١) ابن واصل: مصدر سابق ج ٤ خ ٢٥٨.

(٢) ابن نظيف: مصدر سابق ص ٢٣٣، وأبو الفداء: مصدر سابق ج ٢ ص ٢٣٢.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ١٦.

(٤) هو الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد ابن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي الحموي (٥٩٩-٦٤٢هـ / ١١٩٩-١٢٤٢م)، كان بطلاً شجاعاً للغاية، فطناً قوي الفراسة، طيب المفاكهة، وكان ناقص الحظ مع حيرانه الملوك، انظر:

ابن أبيك الداوداري: كنز الدرر وجامع الغرر، ت: د.سعید عاشور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٧٢م، ج ٧، ص ٣٥٦.

والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٢١٠.



نحو دمشق ووفدت بقية ملوك الشام إلى دمشق وساروا جميعا تحت قيادة السلطان الكامل شرقاً<sup>(١)</sup>

وفي سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م رجع الكامل إلى مصر بعد أن تفقد أحوال مملكته بالمشرق وعاد ملوك الشام من بني أيوب إلى بلادهم<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٣م قام الكامل بحملة ضخمة ضد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى<sup>(٣)</sup>، فبدأت العلاقات بين ملوك الشام والكامل تسير من سيء إلى أسوأ بعد أن تبين لهم أن هدفه الاستيلاء على آسيا الصغرى.

وكان أول مظهر من مظاهر سوء العلاقات حدث بين الكامل وابن أخيه الناصر داود بسبب امتعاض الكامل من الناصر لانضمامه إلى بقية ملوك الشام والجزيرة في العمل على إفشال حملته على آسيا الصغرى فأعرض عن الناصر وأجبره على أن يطلق ابنته عاشوراء خاتون ولم تكن قد زفت إليه بعد، وذلك في سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٣م<sup>(٤)</sup> وقد أورد المؤرخون أسبابا عديدة لتدهور العلاقات بين الأشرف وأخيه الكامل، حيث توالى من الكامل أفعال كثيرة ضاق بها الأشرف ذرعا، منها أنه أخذ

(١) أبو الفداء: مرجع سابق ج ٣ ص ٢٣٢، وابن نضيف: مصدر سابق ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ٣٤، ٣٥.

(٣) سلاجقة الروم: كانت دولة سلاجقة الروم تجاور الشام من الناحية الشمالية، وكان المغول قد تغلبوا عليها، وأجبروها على الخضوع والاستسلام لهم، وكان سلطانها السلجوقي طفلاً صغيراً يسمى كيكوس بن كيخسروا، وقد جعل الأمر كله لوزيره معين الدين أوالدولة سليمان البرواناه، الذي كانت بيده مقاليد الحكم، وعلى أرض هذه الدولة جيش قوي مغولي استعماري يهبط خيرات البلاد، انظر: إبراهيم حسن سعيد: الجيش في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير بآداب القاهرة ١٩٨١م. ص ١٠١-١٢١.

(٤) ابن أبيك: كنز الدرر ج ٧ ص ٣١٢، وأبو الفداء: مرجع سابق ج ٣ ص ١٥٥.



منه بلاده الشرقية حين أعطاه دمشق بعد انتزاعها من الناصر داود، كما استأثر بمناطق مهمة كانت تابعة أصلاً لدمشق.

وأدرك الأشرف أهمية ابن أخيه الناصر داود صاحب الكرك، إذ تتمتع بلاده بموقع عسكري مهم لوقوعها على الطريق التي تربط بين بلاد الشام ومصر إضافة إلى إمكانية مراقبة تحركات الكامل وأخذ الحيطة قبيل توغل جيوشه في بلاد الشام، كما أن حصانة الكرك وصعوبة الاستيلاء عليها ستجعل منها في حالة انضمام صاحبها إلى تحالف ملوك الشام شوكة مؤلمة في جنب الكامل إذا ما حاول غزو بلاد الشام، ولهذا كله أرسل الأشرف إلى ابن أخيه الناصر داود يطلب منه الانضمام إلى تحالف ملوك الشام ضد السلطان الكامل وقدم له عرضاً سخياً بأن يصبح ولي عهده على مملكته وأن يزوجه بابنته الوحيدة<sup>(١)</sup>.

وكاد الناصر يوافق على هذا العرض غير أنه ورد إليه في الوقت نفسه سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م مبعوث السلطان الكامل يدعوه إلى موافقته ضد الأشرف وذكره بغدر الأخير به بعد موت والده وطلب منه القدوم إلى مصر ووعدته بالمشير معه بعساكره وانتزاع دمشق من الأشرف وإعادتها إليه، وعندئذ احتار الناصر داود في أمره واستشار والدته في أي العرضين يقبل، فأشارت عليه بالانضمام إلى عمه الكامل، فافتتحت برأيها وتوجه إلى مصر، ومن الواضح أن الناصر داود ارتكب خطأ بإجابته السلطان الكامل، فلم يستفد من الدروس التي تلقاها منه، فهو الذي أطمع الأشرف في دمشق أول مرة، ويبدو أن الأشرف كان صادقاً في عرضه، لاسيما وأنه ليس له غير ابنة واحدة ولن يجد ولياً لعهد أفضل من ابن أخيه الناصر داود.

ويعزو أبو الفداء سبب ميل الناصر لعمه الكامل ورفض عرض الأشرف لسوء حظه<sup>(٢)</sup> ولكن الحظ ليس له دخل في اتخاذ قراره، فقد كان حراً في اختياره وإنما

(١) ابن واصل: مصدر سابق ج ٥ ص ١٢٥.

(٢) أبو الفداء: المختصر ج ٣ ص ١٥٩.





يعود سوء الاختيار إلى افتقاره للحنكة السياسية والرؤية الصحيحة لطبيعة تكوين الدولة الأيوبية، وعدم إمامه بأطماع عمه الكامل وتطلعه إلى توحيد بلاد الشام تحت حكمه المباشر في الوقت الذي اتضحت فيه تلك المطامع لملوك الشام الآخرين<sup>(١)</sup>، كما رفض الناصر نصيحة مملوك والده المخلص عز الدين أيبك صاحب صرخد الذي أشار عليه بالانضمام لعمه الأشرف وحينما رفض نصيحته تخلى أيبك عنه وانضم إلى الأشرف، وقد خدع الناصر بكل مظاهر الحفاوة التي استقبله بها عمه الكامل<sup>(٢)</sup>.

وحينما بلغ الأشرف انضمام الناصر داود إلى الكامل أرسل عسكرياً إلى نابلس<sup>(٣)</sup> فاستولى عليها وأخذ ما كان فيها للناصر داود<sup>(٤)</sup>.

وتطورت الحوادث بسرعة فمرض الأشرف واشتد به المرض، وعهد إلى أخيه الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل<sup>(١)</sup> مملكته من بعده، واستخلف له المجاهد

(١) الغامدي: مرجع سابق ص ١٥٣، ١٤٥.

(٢) من الجدير بالذكر أن الناصر داود كان سعيداً باستقبال الكامل له لدرجة أنه بعث إلى نائبه بالكرك رسالة يخبره فيها بهذا الاستقبال وتمثل في الرسالة ببيت من شعر أبي الطيب المتنبي:

سيعلم قوم خالفوني وشرقوا  
وغربت أني قد أصبت وخابوا

وهو يقصد بذلك هنا مملوك والده عز الدين أيبك صاحب صرخد الذي انضم إلى تحالف ملوك الشام ضد الكامل، انظر: ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ١٢٧.

(٣) نابلس: مدينة عربية مشهورة بأرض فلسطين، وقيل: إن اسمها روماني اللفظ "بمعنى المدينة الجديدة"، ومنه حُرِّفَتْ إلى نابلس، فتحت في عهد الخليفة . أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعرفت بوفرة مياهها الجارية، وزيتونها وخيراتها العميمة، حتى سميت دمشق الصغرى، وقد نشأت نابلس القديمة في وادٍ ممتد بين جبلي عيال شمالاً، وجزر يم جنوباً، أما نابلس الحديثة فقد امتدت بعمرائها فوق هذين الجبلين، وتبعد نابلس عن القدس ٦٩ كم، وعن البحر المتوسط ٤٢ كم، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٨، ومحمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين ص ٦٩٨.

(٤) المقرئزي: السلوك ج ١ ص ٢٥٤.



صاحب حمص وعز الدين أيبك صاحب صرخد، وتوفي الأشرف بدمشق في المحرم سنة ٦٣٥هـ / سبتمبر ١٢٣٧م، وعمره ستون سنة (٢).

ولقد أزلت وفاة الأشرف عقبة كانت تقف في طريق الكامل، وقد أنهت وفاة الأشرف مرحلة من العلاقات بين أبناء العادل الثلاثة الكبار (الكامل والمعظم والأشرف) تميزت بالشدة والحرب، بالاتفاق والاختلاف، مرحلة نتج عن الاتفاق بينهم فشل الحملة الصليبية الخامسة، ونتج عن الاختلاف فقدان بيت المقدس لحساب الصليبيين دون قتال فضلا عن أنه فتح أعين الخوارزمية على بلاد الشام (٣).

وتواترت الأنباء بعزم الكامل على المسير إلى بلاد الشام للاستيلاء عليها، فشرع الصالح إسماعيل في تحصين دمشق والاستعداد للحصار.

(١) الصالح إسماعيل: هو إسماعيل بن محمد بن أيوب، الملك الصالح عماد الدين بن الملك العادل، كان ملكاً عاقلاً حازماً، تقلبت به الأحوال أطواراً كثيرة، ملك بعلبك وبصرى، استعان بالفرنج على ضرب أخيه الكامل وأعطاهم حصن الشقيف، قتل بالقاهرة سنة ٦٤٨هـ / ١٢٤٨م، انظر: العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٤٧، وابن تغرى بردي: المنهل الصافي، ج ٢، ص ٤٣٠، والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ٣١٥.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ٤١٠.

من الجدير بالذكر أن الملك الأشرف كان أول ملكه من البلاد مدينة الرها، وآخرها دمشق، وقد وصفه المؤرخون بأنه كان كريماً واسع الصدر، كثير العطايا، لا يوجد في خزائنه شيء من المال، وكان محبوباً إلى الناس.

انظر: ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٠٠.

وابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥، ص ٣٣٠.

(٣) الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص ١٥٧.



## دور الناصر داود في الحرب الأهلية في بلاد الشام ونتائج ذلك.

(٦٣٥.٦٤٢ هـ / ١٢٣٧.١٢٤٤ م)

سار السلطان الكامل نحو دمشق ومعه ابن أخيه الناصر داود الذي وثق بأن عمه سوف يسلم له دمشق، واستمر القتال سجالا بين الفريقين في جمادى الأولى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م، وأوشك الناصر على اقتحام دمشق غير أن عمه الكامل طلب وقف القتال وهذا يدل على أنه لم يكن صادقا في وعده للناصر بتسليمه دمشق، وفي النهاية أذعن الصالح إسماعيل بوساطة مبعوث الخليفة العباسي الذي كان قد حضر إلى دمشق فسلم الصالح إسماعيل دمشق لأخيه الكامل في ١٠ جمادى الأولى ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م، وعوضه عنها بعلبك والبقاع فسار إسماعيل إليها وتسلمها<sup>(١)</sup>.

وتوفي السلطان الكامل في رجب سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م، ودفن بدمشق وعمره نحو اثنتين وستون سنة<sup>(٢)</sup> فاجتمع امرأؤه وقادة عسكره<sup>(٣)</sup> بدمشق وتشاوروا واستقر رأيهم على أخذ القسم من الجنود للسلطان الجديد العادل بن الكامل الذي

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ١٥٢.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٠٧. والصفدي: الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٩٤، وابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ص ١٠٧، ١٠٨، وابن كثير: البداية والنهاية ج ٣ ص ١٤٩، وابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ١٥٣، ١٥٤.

(٣) وعلى رأسهم أبناء شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن بن حمويه وهم من أسرة فارسية، وكانوا فقهاء، هاجر فرع منهم إلى مصر وتمتعوا بنفوذ كبير لدي الكامل وأولاده، منهم فخر الدين وعماد الدين ومعين الدين وكمال الدين، ومن الملاحظ الحضور القوي لفخر الدين يوسف وإخوته الآخرين في الصراعات السلطوية بين الأيوبيين والتي بدت بين الكامل محمد في مصر، والناصر داود في دمشق، وكذلك في عهد السلطانين العادل الثاني، والصالح نجم الدين أيوب، انظر: المقريزي: الخطط ج ٤ ص ٩١ حاشية رقم ٣. ونضال حاج أبو بكر: أسرة شيخ الشيوخ ابن حمويه في العصر الأيوبي (٥٦٩-٦٦١ هـ/١١٧٤-١٢٦٣ م)، وعلاقتها مع الصليبيين، رسالة ماجستير، دمشق ٢٠٠٨ م، صفحات ٣-٥، ٣٤٩، ٣٤٧، ٢٦٩، ٢٧٦.



استتابه والده بمصر، وأما مسألة نيابة دمشق فقد تمثلت في ثلاثة آراء خلال اجتماع بدمشق، وقد مثل كل رأي فريق من الحاضرين، فالفريق الأول، مثله الأمير عماد الدين عمر ابن الشيخ، وكان يرى تنصيب الملك الجواد نائباً للعادل الثاني في دمشق، أما الفريق الثاني، فقد مثله الأمير فخر الدين يوسف ابن الشيخ، وقد مال إلى الناصر داود، وكان أنصار الفريق الثالث، يرون أيضاً تولية الناصر داود نيابة دمشق، ومثله مماليك أبيه الملك المعظم عيسى، حيث قال له بعضهم محرصاً: "أخرج مال أبيك والعوام معك وتملك البلاد"<sup>(١)</sup>، إلا أن هذه المحاولة أخفقت بسبب رفض الناصر داود لها<sup>(٢)</sup> واتفقوا على اختيار الجواد بن يونس بن مودود بن العادل<sup>(٣)</sup> نائباً عن ابن عمه بدمشق، وصرفوا النظر عن الناصر داود الذي وعده الكامل قبل موته بإعادة دمشق إليه، وذلك خوفاً من استبداده بالملك وتهديد ابن سيدهم السلطان العادل الثاني، ويبدو أنهم كانوا قد لمسوا أثناء حصار دمشق على عدم تنفيذ وعده له، ويذكر المؤرخون أن الناصر داود لم ينفق الأموال لاستمالة الأمراء وقادة العساكر في الوقت الذي أنفق فيه

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨، ق ٢، ص ٧٠٧.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٠.

وانظر أيضاً: نضال حاج أبو بكر: أسرة شيخ الشيوخ ابن حمويه في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير، دمشق ٢٠٠٨م، ص ١٣٥، ١٣٦م.

(٣) والملك الجواد كان جواداً كاسمه، يحب الصالحين ويحسن الظن بهم، مات خنقاً على يد عمه الصالح عماد الدين إسماعيل في سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م، ودفن بقاسيون بدمشق، انظر:

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٠٨.

والحنبلي: شفاء القلوب، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

وود. منذر الحايك: العصر الأيوبي، قرن من الصراعات الداخلية، تقديم سهيل زكار، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١١م، ص ٤١، ٦٤.



الجواد يونس ستمائة ألف دينار وخمسة آلاف خلعة على كبار الأمراء والقادة لاستمالتهم إليه<sup>(١)</sup>.

وبإعلان العادل الثاني سلطاناً على الدولة الأيوبية، ثم تعيين الملك الجواد الأيوبي نائباً له في دمشق، استعر الصراع من جديد بين مصر ودمشق بسبب طمع الجواد بالاستقلال بحكم دمشق<sup>(٢)</sup>.

فبعد اختيار الجواد نائباً لدمشق أرسل كبار القادة إلى الناصر داود يأمرونه بمغادرة دمشق، ولكن العامة التفت حوله حين خروجه من دمشق وهتفوا باسمه ولكن نجح أحد الأمراء في تفريقهم فأقام الناصر بإحدى ضواحي دمشق وحينما عزم الأمراء على القبض عليه رحل نحو عجلون وتحصن بها<sup>(٣)</sup>.

وقد سُلمت عجلون إلى الناصر داود بمساعدة الأمير ظهير الدين سنقر الحلبي، حاكم نابلس، الذي قام بمكاتبة النائب المقيم بعجلون، وبذل له أربعين ألف درهم، وخلعة، ومركوباً، وقماشاً<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن أبيك: كنز الدرر ج٧ ص ٣٢٨، وابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص ١٥٠.  
(٢) د عبد المنعم ماجد: الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٤٠.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٦ ص ٣٠٤، وابن كثير: البداية والنهاية ج١٣ ص ١٥٠.  
وعجلون: مدينة قديمة قلعة وحصن منبع مشهور يظهر من بيسان، وله بساتين، شرقي بيسان، وهي إلى الشمال من مدينة غزة، وقد أقامها العموريون على أنقاض تل الحسي، وتشرف على السها الساحلي، وتسيطر على الطريق القديم بين غزة والقدس، وتعرف اليوم بتل الحسي. انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، ط باريس ١٨٤٠م، ص ٢٤٤.

ومحمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، دمشق، سنة ١٩٨٧م، ص ٥٢٠.  
(٤) ابن واصل: مفرج الكروب: ج٥ ص ١٧٣، ابن تغري بردي: مصدر سابق ج٦ ص ٣٠٤، وابن كثير: مصدر سابق ج١٣ ص ١٦٠.



وأقام الجواد يونس بدمشق، أما الناصر داود، فقد سار من عجلون واستولى على غزة وبعض الساحل الذي كان بيد السلطان الكامل وضم أعداداً كبيرة من العرب وغيرهم، وأقام بغزة وأرسل إلى ابن عمه العادل بن الكامل بمصر طالبا إليه تسليم دمشق ليصبح نائبه بها بدلا من الجواد وترددت الرسل بينهما، ولم يستجب العادل لمطالب الناصر داود<sup>(١)</sup>.

وخرج الجواد من دمشق لمواجهة الناصر داود في المنطقة بين نابلس وجنين في ذي الحجة سنة ٦٣٥هـ / يوليو ١٢٣٨م، حيث دارت المعركة وهزم الناصر وغنم الجواد وجيشه جميع أموال الناصر داود وخزائنه التي كانت معه، ففقد أمواله الضخمة التي ورثها من أبيه، وعجز عن تجنيد عساكر جديدة واستولى الجواد على نابلس وهرب الناصر إلى الكرك وغادر عماد الدين بن شيخ الشيوخ ببعثة عسكر مصر إلى القاهرة بعد سحق قوات الناصر وزوال خطره من دمشق<sup>(٢)</sup>.

- وجدير بالذكر أن عجلون ظلت بيد نواب الناصر داود إلى سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، حيث أناب عليها سيف الدين علي بن قليج النوري، الذي لعب دوراً مهماً خلال توليه، وبعد وفاته آلت عجلون إلى الملك الصالح أيوب سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، ولم تزل بيده حتى وفاته. انظر: محمد أحمد علي: نيابة عجلون في العصر المملوكي، ماجستير، بيروت، سنة ١٢٠١م، ص ٨.

(١) ابن واصل: مفرج الكروب: ج ٥ ص ١٧٣.

(٢) السابق: ج ٥ ص ١٩٣.

ومن الجدیر بالذكر أن هذه المعركة كانت في مكان يدعى سبسطية، وهي قرية عربية تقع في الشمال الغربي من نابلس، وقيل أيضاً إن هذه المعركة كانت في مكان يدعى ظهر حمار، وهي قرية بين نابلس وبيسان، وأيا كان الأمر فقد دارت الدائرة على الناصر داود فيها، فولى هارباً إلى الكرك، راجع:

ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ٢٣.

ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٧، ص ٣٢٩.

ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ١٩٢.



ولما أيقن الجواد بتصميم العادل الثاني على انتزاع دمشق منه وتأكد له استحالة الوقوف في وجهه أرسل مبعوثه إلى الصالح أيوب بالبلاد الشرقية يطلب منه أن يأخذ دمشق على أن يعوضه عنها سنجار<sup>(١)</sup> والرقعة<sup>(٢)</sup> وعانة<sup>(٣)</sup> وقد قبل الصالح أيوب عرض الجواد الذي قطع الخطبة للعادل الثاني بدمشق وخطب للصالح أيوب وضرب السكة باسمه وسار الصالح أيوب قاصدا دمشق وعهد لابنه توران شاه بحكم بلاد الشرق ثم دخل دمشق واستقر بقلعتها في جمادى الآخرة ٦٣٦هـ / فبراير ١٢٣٩م وغادر الجواد دمشق إلى الشرق وتسلم سنجار وغيرها من البلاد التي أعطيت له عوضا عن دمشق<sup>(٤)</sup>.

أما الناصر داود فحينما بلغه استيلاء الصالح على دمشق بعث إليه يعرض مساعدته له على أخيه العادل والوقوف إلى جانبه لأخذ مصر منه وطلب مقابل ذلك تسليم دمشق وما يتبعها من البلاد التي كانت بعد والده المعظم، فوعده الصالح أيوب بذلك بعد الاستيلاء على مصر فأصر الناصر على تسليم دمشق مقدما فرفض

اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص ١٤٠، ١٤١.

الموسوعة الفلسطينية، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، أحمد المرعشلي، وعبد الهادي هاشم، وأنيس صايغ، دمشق، دمشق، ١٩٨٤م، مج٢، ص٥٣٥.

(١) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة في لطف جبل تبعد عن الموصل مسيرة ثلاثة أيام، انظر: ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٧٤٣.

(٢) الرقعة: مدينة في الجزيرة تقع على الضفة الشرقية للفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام، انظر: ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٦٢٦.

(٣) عانة: بلد بالجزيرة على الفرات تقع بين الرقعة وهيت، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤، ص٧٢.

(٤) الصفي: الوافي بالوفيات ج ١٠ ص ٥٥. ٥٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٠٦، ٣٠٥، أبو الفداء: المختصر ج ٣ ص ١٦٣، المقرئ: الخط ج ٢ ص ٢٣٦.



الصالح أيوب مطالبه<sup>(١)</sup> لذلك قرر الناصر السفر إلى مصر للإفادة من الخلاف الناشب بين العادل وأخيه الصالح فاستقبله العادل وأنزله بدار الوزارة ووعده أن يسترد دمشق وما يتبعها وتم الاتفاق بينهما على محاربة الصالح أيوب<sup>(٢)</sup>.

وكان العادل الثاني قد أساء السيرة في مصر وشغل عن مصالح الدولة باللهو والعبث فاتفق أكثر الأمراء بمصر على مراسلة الصالح أيوب نظراً لأنه الابن الأكبر ولما اشتهر به من حسن السيرة ولجدارته بحكم الدولة الأيوبية.

ومن المنطقي تصور أن السياسة الخرقاء التي انتهجها العادل الثاني كانت سبباً في نشوء المعارضة ضده، وفي انفضاض الأمراء من حوله، فقد شرع في إقصاء حاشية أبيه الكامل محمد من الأمراء القدامى، واتخذ لنفسه بطانة جديدة قوامها أمراء شبان جدد، وأغرق عليهم الأموال وأقطعهم الإقطاعات الواسعة، واقتصر في اجتماعاته الخاصة عليهم، وآلت مقاليد الأمور إليهم، وصار لهم الأمر والشورى، دون الأمراء القدامى الذين احتجب العادل الثاني عنهم، وأهملهم، ثم أقبل على العبث والمجون شرباً ولهواً وطرباً، وانشغل بذلك عن مصالح الدولة وشؤونها، وأردف ذلك سياسة مالية تبذيرية أفرغ فيها خزينة الدولة من الأموال، وبددها في مدة يسيرة، وكان من المسرفين<sup>(٣)</sup>.

وقد خرج الصالح أيوب من دمشق في رمضان ٦٣٦هـ / ١٢٣٩م بقوة من نحو خمسة آلاف مقاتل وبعض أمراء بني أيوب وتقدم إلى نابلس واستولى عليها وعلى الأغوار وأعمال القدس والخليل وبعض الساحل وجميعها تابعة للناصر داود

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ٢٠٧.

(٢) ابن أبيك: كنز الدرر ج ٧ ص ٣٣٤.

(٣) راجع: المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٢٧٥.

ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ٢٣.

ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ١٧٤.





وولى عليها من قبله وأقام بنابلس وظل الصالح أيوب مقيما بنابلس بقية سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٩ في انتظار عمه الصالح إسماعيل.

وفي صفر سنة ٦٣٧هـ / سبتمبر ١٢٣٩م دخلت جيوش الصالح إسماعيل دمشق وبعد أن سقطت دمشق سار الصالح أيوب إلى نابلس وأثناء ذلك قدم الناصر داود من مصر بعد أن تدهورت العلاقات بينه وبين ابن عمه العادل وحينما وصل إلى الكرك بلغه نبأ استيلاء إسماعيل على دمشق وفرق عساكر أيوب عنه ، فأرسل إليه يطيب قلبه، وحينما وصل الصالح أيوب إلى الكرك أنزله الناصر بقلعتها وبعث إليه يخبره أنه فعل ذلك حفاظا على سلامته من أخيه العادل وعمه إسماعيل، وظل الصالح أيوب مقيما بقلعة الكرك كالأجير لدى ابن عمه الناصر داود زهاء سبعة أشهر من سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م<sup>(١)</sup> .

وحينما بلغ العادل الثاني نبأ استيلاء عمه إسماعيل على دمشق واعتقال أخيه أيوب بالكرك أرسل إلى الناصر داود يطلب منه تسليم أخيه مقابل مبلغ من المال ووعدته بدمشق فرفض الناصر إجابة طلبه إلا بشرط تسليم دمشق أولاً، فبعث إليه العادل يهدده فلم يحفل بوعيده، ومن الواضح أن الناصر داود أراد استخدام الصالح أيوب كورقة ضغط على العادل الثاني في سبيل تحقيق استعادة دمشق، وأخذ يخطط لاستغلال أيوب لتحقيق طموحاته التي لا ترضى بأقل من إعادة مملكة والده إليه، ولكن فشلت جهوده في استعادة دمشق من الصالح إسماعيل والعادل الثاني عن طريق المفاوضات<sup>(٢)</sup> .

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٢٨.

والغامدي: مرجع سابق، ص ١٧٧.

(٢) المقرئزي: السلوك ج ١ ص ٢٩٣.

الغامدي: مرجع سابق، ص ١٨١.



وفي أواخر رمضان سنة ٦٣٧هـ / أبريل ١٢٤٠م أطلق الناصر سراح الصالح أيوب وأقسما على أن تكون مصر للصالح أيوب وبلاد الشام والمشرق للناصر داود ثم سارا إلى الكرك وعسكرا بها<sup>(١)</sup>.

واستشعر العادل الثاني والصالح إسماعيل الخطر الكامن وراء إطلاق سراح أيوب غير أن الأمور تطورت بسرعة للصالح نجم الدين أيوب، فقد نفر قادة عساكر مصر من العادل الثاني فقبضوا عليه سنة ٦٣٧هـ في ذي القعدة/ يونيه ١٢٤٠م، ومال العساكر الكاملة إلى دعوة الصالح أيوب وهم الأكثرية، أما المماليك الأشرفية وهم الأقلية فمالوا للصالح إسماعيل، فوصلت الدعوة إلى نجم الدين أيوب والناصر داود عند جبل الطور في سيناء فسارا على عجل إلى مصر، فقبض الصالح على أخيه العادل وصعد إلى قلعة الجبل وبسط نفوذه على مصر<sup>(٢)</sup> لكن التحالف الذي أبرم بين الصالح أيوب وابن عمه الناصر داود سرعان ما انفرط عقده بعد فترة قصيرة من استيلاء أيوب على مصر، فقد ذكر المؤرخون أن سبب ذلك يعود إلى قيام الناصر بعقد الاجتماعات السرية مع بعض أمراء مصر، ورفض الصالح أيوب إعطاء قلعة الشوبك وإرسال العساكر معه لاسترداد دمشق فاستوحش من الصالح أيوب وعاد إلى الكرك.

ولما كان الناصر يعسكر بالبقاء<sup>(٣)</sup> أدرك الصالح إسماعيل تطلع الناصر الدائم نحو دمشق فقرر المبادرة بالهجوم على قواته ونجح في إنزال الهزيمة به فانسحب الناصر إلى الكرك.

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٢٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٥٤.

(٣) البلقاء: كورة من أعمال دمشق ووادي القرى، قصبها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٨٩.



## الناصر داود وتحرير بيت المقدس :

ومن الأعمال الجليلة التي قام بها الناصر داود، نجاحه في استرداد بيت المقدس من الصليبيين واستعادته منهم سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، وكان بيت المقدس تحت سيطرة الصليبيين، فلما جاء صلاح الدين الأيوبي إلى الحكم بذل جهوداً كثيرة في الجهاد في سبيل الله لأجل تحرير بيت المقدس من الصليبيين، فتمكن بحكمته وشجاعته من تحرير القدس، وتحققت في عهده جمع كلمة العرب وتوحيد قلوب المسلمين في الجهاد في سبيل الله (١)

وبعد وفاة صلاح الدين توزعت البلاد بين أولاده وإخوته، فضعفت قوة المسلمين ووقعت الحرب بين الأخوة والأبناء والأعمام إلى أن وصل الأمر بتسليم بيت المقدس للصليبيين بغير حرب في عهد الملك الكامل سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (٢) وذلك بعد أن انتهت مفاوضات مع فردريك الثاني بعقد معاهدة تعتمد على السياسة والتسامح وتخالف روح العصر مخالفة كبيرة، وشروطها : أن تسلم بيت المقدس للإمبراطور باعتبارها ملكاً للدولة الصليبية بشرط ألا يقيم الصليبيون فيها حصوناً أو قلاعاً وأن يعطي للصليبيين بيت لحم والناصرية وطريق الحاج من بيت المقدس إلى يافا (٣) على

(١) عن صلاح الدين وتحرير بيت المقدس راجع :

د. قاسم عبده قاسم / ماهية الحروب الصليبية ص ٩١ - ٩٧ سلسلة عالم المعرفة الكونية رقم ١٤٩ ، ١٩٩٠ م

(٢) د. عبد المنعم ماجد: الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٣٨.

Kerr , The crusades , London 1966 p.33 – 39

Mayer, The crusades London 1992 . p. 161 – 182

(٣) يافا : مدينة على ساحل البحر المتوسط بين قيسارية وعكا، من أعمال فلسطين، حررها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ثم أعاد الفرنجة احتلالها سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، ثم استردها العادل الأول وحررها، انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٤٨٨، والقرواني: أخبار البلاد ج٣، ص٣١٠.



الساحل وأن يبقى في أيدي المسلمين من بيت المقدس منطقة المسجد الأقصى على ألا يحمل المسلمون في تلك المنطقة سلاحاً، وأن يطلق الكامل سراح من عنده من الأسرى وأن يتعهد فردريك بمحالفة الكامل ضد جميع أعدائه حتى ولو كانوا مسيحيين صليبيين، وأن يضمن الإمبراطور عدم وصول أمداد للصليبيين إلى الإماراتين الصليبيتين، أنطاكية<sup>(١)</sup> وطرابلس، وأن تسرى هذه المعاهدة لمدة عشر سنوات<sup>(٢)</sup> وقد ذكر بعض المستشرقين أن السلطان الكامل اتفق مع الإمبراطور فردريك الثاني على ذلك حتى لا يتحالف الأخير مع ابن أخيه الناصر داود<sup>(٣)</sup> ولكن هذا الافتراض غير صحيح لأنه من الصعب على الناصر داود وهو في دمشق أن يقدم على التحالف مع الصليبيين خشية سكان دمشق الذين كانوا أكثر المسلمين إحساساً بالخطر الصليبي ولن يقبلوا لملكهم بالانحدار إلى التحالف مع العدو، وإضافة إلى أن الناصر داود لم

(١) أنطاكية : Antioch أسسها سليوقوس الأول عام ٢٠٠٣ ق . م تخليداً لذكري والده أنطيوخوس أحد خلفاء الإسكندر المقدوني وتقع أنطاكية على الضفة الجنوبية لنهر الأورنت في سهل يقع بين النهر وجبل حبيب النجار، وفي أقصى الجنوب من المدينة توجد القلعة في أعلى جبل حبيب النجار، وبالإضافة إلى حصانها الطبيعية يوجد بها مجموعة من الأبراج، كل برج فيها كالحصن عليه أبواب حديد، وشكل المدينة كنصف دائرة قطرها يتصل بالجبل والأسوار تصعد مع الجبل مما يزيد من حصانها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان . ج ١ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ / الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ص ٣٨ ، حسين عطية : أنطاكية الصليبية، رسالة ماجستير ، بالإسكندرية سنة ١٩٨١ م ص ٨٢ - ٨٥ ، ستيفن رنسيومان / تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ٢٣ ، ٢٤ .

(2) Cambell (G) the Crusades London 1933 . p. 406

جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ط٢ دار المعارف ٢٠٠٧ م ج ٢ ص ٩٠ - ومن الجدير بالذكر أن بيت المقدس ظل أسيراً في أيدي الصليبيين نحو خمسة عشر عامًا، حتى نجح الخوارزميون في تحريره في ٣ من صفر سنة ٦٤٢ هـ / ١١ أيلول ١٢٤٤ م .

(٣) د.علي محمد الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي رسالة دكتوراة القاهرة ١٩٨٦ م ص



يكن في وسعه الاتصال بفرديريك بعد أن أضحت دمشق محاصرة بقوات عمه الأشرف<sup>(١)</sup>.

ويضاف إلى ذلك أيضاً أن الناصر داود بعث يستجد بجلال الدين الخوارزمي<sup>(٢)</sup> أقوى المسلمين في ذلك الوقت ويخبره أن عمه الكامل والأشرف لم يهاجما مملكته إلا بسبب انتماء والده (المعظم عيسى) إليه ودخوله في طاعته<sup>(٣)</sup>.

ومهما يكن من أمر فقد ثار المسلمون ضد الكامل لأنه فرط في أملاك المسلمين وفي بيت المقدس بالذات، وكان المؤرخ الواعظ سبط ابن الجوزي يلقى المواعظ في مدينة دمشق للتشهير بالكامل وبفعلته، ولا مرأى في أن نار العداوة التي أشعلها الكامل بين أخويه والتي أدت إلى الاستعانة بالقوى الخارجية قد انتهت بالوقوع في خطأ كبير جداً، هو تسليم بيت المقدس إلى فرديريك الثاني، فقد أنكر المسلمون فعل الكامل واستشعوه وحننوا أشد الحزن لخروج القدس من أيديهم، وقد أخذ الناصر داود يشنع على عمه الكامل بسبب تسليمه القدس، وظل بيت المقدس تحت سيطرة الصليبيين مدة إحدى عشرة سنة، أي إلى سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م<sup>(٤)</sup>.

(١) جلال الدين الخوارزمي: هو جلال الدين مذكروني ابن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، وجلال الدين هو آخر سلاطين الدولة الخوارزمية، كانت فترة حكمه منذ سنة ٦١٧ - ٦٢٨ هـ / ١٢١٩ - ١٢٣١ م وقد وصفه المؤرخ ابن الأثير بأنه كان سيئ السيرة قبيح التدبير لملكه لم يترك أحداً من الملوك المجاورين له إلا عاداه ونازعه الملك وأساء مجاورته انظر: الكامل، دار الكتاب العربي ١٩٨٦ م ج ١٢ ص ٢٣.

(2) Conder (C.R) The latin kingdom of jerusalim ( 1099 - 1291 ) London 1897 . p.313.

(٣) ومن المنطقي هنا القول بأن المعظم عيسى لجأ إلى التحالف مع جلال الدين الخوارزمي، حماية لنفسه، ومعاندة لأخيه الكامل وأخيه الأشرف وخوفاً من تهديدهما له ، انظر في ذلك المقريزي ، السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٥٢ / ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ١٤٦ .

(٤) وقال أحد الشعراء معيراً عن حزن المسلمين عن بيت المقدس :



وكان الصليبيون قد قرروا أن يسيروا إلى عسقلان<sup>(١)</sup> للاستيلاء عليها سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م وبناء تحصيناتها المهدمة واتخاذها قاعدة لمهاجمة دمشق، غير أن هذه الحملة باءت محاولاتها بالفشل لأن أحد قادة العسكر المصري ويدعي ركن الدين الهيجاري<sup>(٢)</sup> كان يربط في غزة بقواته فالتقى بالصليبيين فيها وأنزل بهم هزيمة ساحقة، حيث قتل وأسر منهم الكثير وسيق الأسرى يجرون أذيال الخيبة والندامة إلى القاهرة<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه الأثناء، عمل الناصر داوود صاحب الكرك على استثمار هذه الضربة القاسية التي حلت بالصليبيين لصالحه، فقرر استعادة بيت المقدس، وكان الصليبيون بعد موت السلطان الكامل سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، قد عمدوا إلى بناء قلعة غربي بيت المقدس وجعلوا برج داود أحد أبرجها.

فسار الناصر داوود بقواته نحو القدس واختار وقت الهجوم عليه ليكون أثناء انشغال الصليبيين هناك بأحد أعيادهم في جمادي الأولى سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م<sup>(٤)</sup>.

فدخل إلى القدس وفاجأهم وهم منصرفون إلى الاحتفالات بعيدهم واستعاده منهم، ثم ضرب الحصار حول القلعة التي عمروها وضررها بالمنجنقات حتى استولى

وشمس مبانيه تزول وتغرب

عزيز علينا أن نرى القدس تخرب

على مثله تجرى الدموع وتسكب

وقلت له منا الدموع لأنه

(١) عسقلان: مدينة في بلاد الشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر المتوسط، احتلها الصليبيون سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، وحررها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٤، ص ١٣٧.

(٢) المقريزي: السلوك ق ١، ج ١، ص ٤٠١.

(٣) أبو شامة: ذيل الروضتين ص ١٧٠ رنسيمان: الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

Painter : A History of the middle Ages . P. 217 .

(٤) د. السيد الباز العريني: الشرق الأدنى في العصور الوسطى (١) الأيوبيون، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١١٩.



عليها وعلى برج داود وسمح للصليبيين بمغادرة بيت المقدس بعد أن أعطاهم الأمان على أنفسهم<sup>(١)</sup>، ومدحه الشعراء بهذه المناسبة<sup>(٢)</sup>

ثم أرسل الناصر داود إلى بغداد مخبراً باسترداد بيت المقدس من الصليبيين<sup>(٣)</sup>، وبعد تحرير القدس بقيت تحت حكم المسلمين إلى أن سلمها الصالح إسماعيل وحلفاؤه من الأيوبيين، وهم: المنصور صاحب حمص، والناصر داود حاكم الكرك مرة أخرى إلى الصليبيين سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م بعد دخول الأيوبيين في حرب أهلية داخلية بعضهم البعض، ثم استرجعها الصالح نجم الدين أيوب ملك مصر من أيديهم مرة أخرى<sup>(٤)</sup>.

### تحالف الناصر داود والصالح إسماعيل ونتائجه:

وفي سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤٠م دخل الناصر داود في تحالف الصالح إسماعيل وحمص وحلب ضد الصالح أيوب، فأدرك الصالح أيوب أن ملوك الشام جميعاً تحالفوا ضده ولم يعد معه سوى المظفر صاحب حماة<sup>(٥)</sup> ويبدو أن الصالح أيوب لم يكن يريد لعلاقته مع عمه الصالح إسماعيل أن تصل إلى طريق مسدود، وجرى الاتفاق على

(١) المقرئزي: السلوك ج ١ ن ص ٢٩١، ٢٩٢ / ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ٢٤٧.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٢٤٧.

والطرسوسي: تحفة الترك ج ١، ص ٨.

(٣) ومن ذلك ما أنشده الشاعر ابن مطروح بقوله:

المسجد الأقصى له عادة      سارت فصارت مثلاً سائراً  
إذا غدا بالكفر مستوطناً      أن يبعث الله له ناصراً  
فناصر طهره أولاً      وناصر طهره آخراً

ويقصد الشاعر بالناصر الأول، صلاح الدين الأيوبي وبالناصر الثاني، الناصر داود

(٤) ومن الملاحظ على الأيوبيين الأواخر أن القدس أصبحت بالنسبة لهم ورقة مسالمة يدفعون بها للفرجة الصليبيين في حماة صراعاتهم السلطوية، أو مقابل الحفاظ على أمن وسلامة أملاكهم.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ٣٢٣.



انتزاع بلاد الناصر داود من يده بحيث يكون بعضها للصالح أيوب والجزء الآخر لعمه إسماعيل<sup>(١)</sup>.

وأثناء تردد الرسل بين الجانبين وقع بيد الصالح إسماعيل رسالة سرية أرسلها ابن أخيه الصالح أيوب إلى الخوارزمية يطلب منهم التحرك ضد أعدائه في الشام، فبادر الصالح إسماعيل بقطع المفاوضات وراسل الناصر داود واتفق معه على قتال الصالح أيوب وانضم إليهما المنصور صاحب حمص وطلب فصارت كلمة ملوك الشام موحدة ضد الصالح أيوب<sup>(٢)</sup>.

وحينما أدرك ملوك الشام أن الخوارزمية لا بد وأن يهاجموا بلاد الشام وأنهم لا يستطيعون مواجهتهم إذا انضموا للصالح أيوب اتفقوا سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م على مراسلة الصليبيين والتحالف معهم، فقد اتفق الصالح إسماعيل مع ابن أخيه الناصر داود على تسليم بيت المقدس بكامله للصليبيين، وكذلك المسجد الأقصى والصخرة المقدسة، وما فيهما من المزارات، واتفقا أيضًا على تسليم طبرية<sup>(٣)</sup>، والسماح لهم بعمارته، وشرعوا في بناء تحصيناتهم، كما أخذ فرسان الاسبتارية<sup>(٤)</sup> كوكب<sup>(١)</sup> وعزموا على عمارتها<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤٧، والعليمي: الأندلس الجليل ج ٢ ص ٦.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ٣٣١، ٣٣٢.

(٣) طبرية: بلدية مطلة على البحيرة المعروفة بها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، انظر: ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٨٧٨.

(٤) الاسبتارية: من أقدم هيئات الفرسان ارهبان، وتعرف أيضًا بفرسان القديس يوحنا، وترجع نشأة تلك الجماعة إلى عام ١٠٩٩م، حيث أمر الباب جريجوري بنشأتها لخدمة الحجاج وتمريضهم، ثم تطور رجالها وأصبحوا رجالاً يلبسون لامة القتال، ويحاربون المسلمين، انظر:





وبدأ الصليبيون في حشد قواتهم وإعدادها لتنفيذ اتفاقهم مع إسماعيل والناصر داود<sup>(٣)</sup>، وهكذا تخلى الصالح إسماعيل والناصر داود عن مقدسات المسلمين في بيت المقدس<sup>(٤)</sup>.

وفي أوائل سنة ٦٤٢هـ استجاب الخوارزمية لطلب الصالح أيوب فعبروا الفرات نهبوا كل البلاد التي مروا بها وهاجموا القدس واستعادوه من الصليبيين ثم ساروا إلى غزة ونزلوا بها وبعثوا للصالح أيوب يخبرونه بقدمهم<sup>(٥)</sup>.

جوناثان رايلي سميث: الاسبتارية، فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص (١٠٥٠-١٣١٠م) ترجمة صبحي الجامي، دمشق، ١٩٨٩م. ورنيه كروسيه: الحروب الصليبية، صراع الشرق والغرب، ترجمة أحمد ابيش، دمشق ٢٠٠٢، ص ٩٩.

King-E: The kinghts hospitallers the Holyland, London.1931,p.1-51.

(١) كوكب: قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية، حصينة رصينة، تشرف على الأردن، انظر: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٤.

(٢) ابن واصل: ج ٥، ص ٣٣٢، ٣٣٣، وأبو الفدا: المختصر: ج ٣، ص ١٧٢.

(٣) ابن واصل: مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٣٢، ٣٣٣.

وأبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٧٢.

(٤) ويرى بعض المستشرقين أن الصالح أيوب عرض على الصليبيين العرض نفسه الذي قدمه إسماعيل والناصر داود، مقابل تحالفهم معه ضدهما، انظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٩٩٥، نقلاً عن المؤرخ الفرنسي جروسبه، وانظر أيضاً: رنسيان: الحروب الصليبية، ج ٣، ص ١٨٩.

ولكن هذا الرأي غير مقبول لأنه لم يرد في المصادر العربية المعاصرة لتلك الحوادث، ويضاف إلى ذلك أن البلاد التي أعطاها إسماعيل والناصر داود للفرنج بما فيها بيت المقدس لم تكن تحت سيطرة الصالح أيوب حتى يعرضها عليهم مقابل التحالف معه.

(٥) cambell . g . p . the crusades p; 415.

ورنسيان: الحروب الصليبية ج ٣ ص ٣٩٠.



وخرجت عساكر الشام من دمشق بقيادة المنصور صاحب حمص وبعث الناصر داود بقواته واجتمع الجميع ببيافا ومعهم الصليبيون وساروا إلى غزة سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م ودارت معركة رهيبية مع الخوارزميين انتصر فيها الخوارزمية<sup>(١)</sup>.

ومن خلال ما سبق يمكن استنتاج أن سياسة الخوارزمية مع البيت الأيوبي سادها طابع المواجهة العسكرية، في حين اتخذت في أوقات أخرى طابع التحالفات العسكرية والسياسية، وهذا واضح من خلال التحالف والارتباط مع بعض ملوك بني أيوب، لاسيما الصالح أيوب.

وكان من الطبيعي أن يتطلع الصالح أيوب بعد انتصار قواته في معركة غزة إلى استثمار ذلك النصر والانتقام من عمه الصالح إسماعيل، فأرسل نوابه فاستولوا على البلاد وكانت جمعها في حوزة الناصر داود ولم يبق معه سوى الكرك والبقاء والصلت وعجلون<sup>(٢)</sup>.

وفي تاسع المحرم ٦٤٣هـ تم حصار دمشق وتم الاتفاق على أن يغادر إسماعيل دمشق إلى بعلبك ودخل معين الدين بن الشيخ<sup>(٣)</sup> بقوات الصالح أيوب دمشق في جمادى الأولى سنة ٦٤٣هـ / أكتوبر ١٢٤٥م.

(١) أبو الفداء: المختصر ج ٣ ص ١٧٢، ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦٤، الذهبي: دول الإسلام ج ٢ ص ١٤٨.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ٣٤٠، المقرئ: السلوك ج ١ ص ٣١٨.

(٣) معين الدين بن الشيخ: هو الحسن بن محمد ابن شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن تقدم في الدولة الكاملية، كان نائباً للوزارة في عهد الكامل الأيوبي، وعظم شأنه في الدولة الصالحية فقد وزر للصالح نجم الدين أيوب، وكان قائداً لجيشه، وقدم إلى دمشق بالجيش المصرية، وبالخوارزمية، وتسلمها من الصالح إسماعيل، توفي سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٧م، انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ٣١١.

وابن كثير: البداية والنهاية، أحداث سنة ٦٣٨هـ، ج ١٣، ص ١٩٨.



وبعد فترة وجيزة من الاستيلاء على دمشق وصل إليها أمر الصالح أيوب بعدم إعطاء الأمان لعمه إسماعيل وأمر بالقبض عليه وإرساله إلى مصر ولكن ابن الشيخ كان قد أطلق سراحه قبل وصول الرسالة إلى دمشق.

وسرعان ما تعرض نفوذ الصالح أيوب في بلاد الشام للخطر من قبل خلفائه بالأمس وهم طائفة الخوارزمية، إذ كانوا يتوقعون الحصول على ثمن كبير من الصالح أيوب جزاء خدماتهم له وأن يقطعهم الإقطاعات الواسعة بمصر ويقاسمهم بلاد الشام وهو ما لم يحدث، كما أن ابن الشيخ عندما استولى على دمشق لم يعطهم من الإقطاعات ما يرضيهم<sup>(١)</sup>.

فأخذ الخوارزميون يبحثون عن الحلفاء للعمل ضد الصالح أيوب، فراسلوا الناصر داود صاحب الكرك فوجد في مخالفتهم فرصة لاستعادة ما فقده من بلاده فاجتمع بهم وتزوج منهم ونجح في استعادة نابلس والقدس وبيت جبريل والأغوار<sup>(٢)</sup>.

واستمالوا أيضا الصالح إسماعيل فاتقنت كلمة الجميع على محاربة الصالح أيوب ووجهوا هجومهم إلى دمشق فتم حصارها في ذي القعدة ٦٤٣هـ / إبريل ١٢٤٦م، ومن ناحية أخرى نجح الصالح أيوب في استمالة صاحب حمص المنصور إبراهيم فدارت حرب في أول ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م انتصرت فيها قوات الصالح أيوب وحلفائه على الخوارزمية وحلفائهم وقتل الكثير منهم، فتفرقوا أيدي سبأ<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٥١، كما راسلوا أيضا ركن الدين بيبرس الصالحي وعرضوا عليه أن يميل إلى جانبهم وكان يلي غزة من قبل الصالح أيوب فتعاطف معهم إلا أن الصالح أيوب استدعاه واستدرجه إلى القاهرة واعتقله.

(٣) المصدر السابق: ج ٦ ص ٣٥٢.



ونجح الصالح أيوب في تجريد عمه إسماعيل من إمارته في بلاد الشام ثم التفت إلى ابن عمه الناصر داود فأرسل فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ<sup>(١)</sup> على رأس حملة كبيرة إلى الشام لقتال الناصر داود الذي استخدم بعض فلول الخوارزمية ووصل الجيش المصري إلى غزة وأوقع هزيمة بالناصر داود في ربيع الآخر سنة ٦٤٤هـ / سبتمبر ١٢٤٦م، وارتن الناصر الكرك واستولى ابن الشيخ على ما كان بيده من البلاد وهي القدس وبيت جبريل ونابلس والصلت<sup>(٢)</sup> والبقاء ثم حاصر الكرك ودمرها حتى قل ما بيد الناصر من أموال وذخائر فأرسل يطلب الأمان فاشتراط عليه ابن الشيخ إخراج الخوارزمية فبعث بهم إليه فجندهم ابن الشيخ في جيشه وترك الكرك على حالها<sup>(٣)</sup>.

وكان الناصر داود يتوقع أن يشن الصالح أيوب عليه هجوما في الكرك لينتزعها منه بعد فراغه من حمص فبعث إليه يعرض التنازل عن الكرك على أن

(١) فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ: كان مولده بدمشق بعد الثمانين وخمسائة، كان صدرا معظمًا شجاعًا مهيبًا جوادًا خليفًا بالإمارة، وهو أحد أولاد شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن، وكان فخر الدين أحد الأمراء المهرة في عهد الملك الكامل، وازداد نفوذه في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وعهد شجر الدر، فكان قائدًا للجيش المصري في ذلك الوقت، توفي سنة ٦٤٧هـ / ١٢٥٠م.

انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ١٠٠، ١٠١.

المقريزي: السلوك ج ١، ق ١، ص ٧٥.

(٢) الصلت: بلدة من جند الأردن في جبل الغور الشرقي إلى الجنوب من عجلون، وقد بني قلعتها المعظم عيسى بن العادل الكبير، وهي نفسها مدينة السلط الحالية في المملكة الأردنية الهاشمية، فقد تقلب السنين صادقًا فتصبح السلط، وقد تقلب طاء هذه تاء لمخالفة الصاد، وكل ما في الأمر اختلاف في مخارج الحروف، ومنهم من رد أصلها إلى اللاتينية حيث تتصرف لمعنى الغابة، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى: ج ٤، ص ١١٠، ويحيى عبد الرؤوف جبر: معجم البلدان الأردنية وال فلسطينية حتى نهاية القرن الهجري السابع، دار اللوتس للنشر، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٨٨م، ص ١٣٥، ١٣٦.

(٣) المقريزي: السلوك ج ١ ص ٣٢٥.



يعوضه بقلعة الشوبك وإقطاعا بمصر فوافق الصالح أيوب ولكن الناصر داود تراجع عن ذلك حينما بلغه عودة الصالح أيوب إلى مصر وقدم الحملة الصليبية السابعة<sup>(١)</sup>، ولكن تراجع الناصر داود لم يطل في عمر مملكته الصغيرة ففي سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م ذهب إلى حلب يعقد تحالفا جديدا ضد الصالح أيوب مع مملكة حلب ولا سيما بعد تدهور علاقاتها مع الصالح أيوب بسبب حمص، وكان قبيل مغادرته الكرك قد أناب ابنه الأصغر المعظم شرف الدين عيسى على القلعة وترك ابنه الآخرين الظاهر شادي والأمجد حسن وهما أكبر سنا، فاشتد غضبهما وقبضا على أخيهما المعظم واتفقا على تسليم الكرك للسلطان الصالح أيوب، فسافر الأمجد حسن إليه بالمنصورة وعرض عليه استلام الكرك فأكرمه السلطان وأعطاه مبلغا كبيرا من المال وأرسل معه خادمه بدر الدين الصوابي نائبا على الكرك والشوبك وغادر ابنا الناصر داود إلى القاهرة فأقطعهما الصالح أيوب إقطاعات كبيرة بمصر، وقد سر الصالح

(١) عن الحملة الصليبية السابعة، انظر:

ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ٣٦.

النويري: نهاية الأرب، ج ٩، ص ٣٣٥.

اسمت غنيم: الدولة الأيوبية والصليبيون، ص ١١٦.

د. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١٠٥٤.

ستيفن رنسيومان: مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٤٤، ٤٤٩-٤٥١.

جوانفيل: حياة القديس لويس، ج ٣٥، ص ٦٨، ٦٤.

جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ج ٢، ص ١٠٥.

Oman,C, a history of the art of war in the middle eges, Revised and enlarged, vol-I.p.342,London, 1924.



أيوب سرورا عظيما بالاستيلاء على الكرك واستكمال وحدة مصر والشام وجعل الكرك مخزنا لأمواله وأسلحته وذخائره<sup>(١)</sup> .

### موقف الخلافة العباسية من الناصر داود:

قامت الخلافة العباسية بدور مؤثر في محاولات رأب الصدع وتسوية النزاع بين ملوك بني أيوب في وقت تفاقم فيه خطر التتار من جهة الشرق ، وكان ملوك بني أيوب في بلاد الشام يرون الخلافة العباسية بمثابة الملاذ الأخير الذي يتحتم اللجوء إليه وقت الأزمات، ومما يبرهن على صحة هذا القول، إن الناصر داود صاحب الكرك حين تدهورت العلاقات بينه وبين عمه الكامل سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م وبات يشعر أن عمه قد ينفذ على ما تبقى له من أملاك ، فكر في الذهاب إلى بغداد وشرع في إعداد نفسه وحاشيته للرحيل ثم سافر ملتجئاً إلى الخليفة ومستجيراً به وتمسكاً بذيله<sup>(٢)</sup> واصطحب معه بعض كبار العلماء، وحين وصوله إلى بغداد أمر الخليفة المستنصر بالله باستقباله في احتفال مهيب وأمر بإكرامه وإنزاله بدار الوزارة<sup>(٣)</sup>

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٦ ص ٣٦٢، أبو الفداء : المختصر ج٣ ص ١٧٩، سبط

ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ص ٣٧٣.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٥ ص ١٠٠

(٣) أبو الفدا : المختصر ج٣ ص ١٥٧

- ومن الجدير بالذكر أن الناصر داود لم يحظ في بادئ الأمر بمقابلة الخليفة لأن الخليفة المستنصر يعلم أن الناصر داود لم يصل إلى بغداد إلا وهو غاضب على عمه الكامل فأثر المستنصر عدم إغضاب الكامل وإثارة عتبه ووحشته، وقد غضب الناصر داود لذلك إلا أن الخليفة استقبله سرا تطييباً لخطره، انظر: الغامدي: مرجع سابق، ص ٣٤١.



وحضر الناصر داود أثناء إقامته في بغداد المناظرات التي كانت تدور في المدرسة المستنصرية<sup>(١)</sup> فناظر العلماء والفقهاء وآثار إعجاب الجميع ، ثم خلع الخليفة على الناصر داود وعلى أصحابه وأكرمهم وجهزه للسفر، وبعث في خدمته رسولاً من كبار خواصه ليشفع له لدى عمه الكامل، وحين بلغ الأخير قدومه مع رسول الخليفة خرج من دمشق مع أخيه الأشرف واستقبله بحفاوة، وقبل شفاعة الخلافة فيه<sup>(٢)</sup>

وهكذا لعبت الخلافة العباسية دوراً مهماً في الخلاقات التي كانت تحدث بين أبناء الأسرة الأيوبية ، وقد أشار المؤرخ ابن واصل الذي كان معاصراً لتلك الأحداث إلى مدى اعتزاز الناصر داود بعلاقته الوطيدة مع الخليفة العباسي، فيذكر أنه بعد ما رجع إلى دمشق من رحلته ومعه الأعلام السود جعل رنكه (٣) كله أسود تعبيراً عن انتمائه إلى الخلافة، وكان الخليفة المستنصر قد لقبه "الولي المهاجر" فلما عاد الناصر إلى بلاده أمر الخطباء أن يذكروا في الدعاء له اللقب الذي شرفه الخليفة به، ولما سافر إلى الكرك سافر رسول الخليفة معه ليلبسه الخلعة ويتأكد بذلك أمره وتتحسم

(١) المدرسة المستنصرية : أول مدرسة في الدولة الإسلامية تدرس المذاهب الأربعة، وكانت أنظم جامعة إسلامية ببغداد في أواخر الدولة العباسية، وقد أنشأها الخليفة العباسي المستنصر بالله لتدريس علوم القرآن والسنة النبوية والمذاهب الفقهية، وغيرها.

انظر: السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج٢، ص١٣٨.  
والنعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص١١.

وناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ص٧.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٥ ص ١١٠ ، ١١١

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ج ٥ ، ص ١١٢ ، ١١٣



مادة الطمع فيه، وأقيمت الاحتفالات بالكرك فأقام الناصر بها مطمئناً آمناً لانتسابه إلى الخليفة . (١)

وفي سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م بذلت الخلافة العباسية مساعيها لحل النزاع بين الأيوبيين أثناء إقامة الصالح أيوب بنابلس وهو في طريقه إلى مصر بقصد انتزاعها من أخيه العادل حيث وصل محيي الدين بن الجوزي رسول الخليفة المستنصر في محاولة للصلح الذي انتهى بأن تكون للصالح أيوب دمشق وما يتبعها من البلاد التي كانت تابعه لها زمن الأشرف، وتعاد بلاد الناصر داود إليه، على أن يحتفظ العادل الثاني بمصر (٢)

وفي سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م أرسل الخليفة المستنصر إلى المغيـث صاحب الكرك طالباً إنفاذ الناصر داود إليه لكي يقدمه على بعض العساكر لمواجهة التتار، فسار الناصر داود مع رسول الخليفة من الكرك نحو بغداد، وما أن وصلا إلى دمشق حتى بلغهما سقوط بغداد بأيدي قوات المغول (٣) ويتضح مما سبق أن الخلافة

(١) الرنك : جمعه رنوك ، لفظ فارسي معرب معناه اللون، وقد استعمل بمعنى الشعار أو العلامة التي يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها دون غيره وينقشها على أبواب بيوته وممتلكاته كما يضعها على سروج خيوله وسيوفه وآلاته وذخائره ، انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ج ٥ ص ١١٢ حاشية رقم (٧)

وإبراهيم علي طرخان: مصر في عصر المماليك الجراكسة ١٣٨٢-١٥١٧م، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٠م، ص٣٢٧.

ومحمد مصطفى: الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، القاهرة ١٩٤١م، العدد ٤٠٠، ص٢٦٨.  
(٢) أبو الفدا : المختصر ج٣ ص ١٦٤ ومن الجدير بالذكر أن الاتفاق لم يتم لأن الصالح إسماعيل استولى على دمشق حينذاك .

(٣)المصدر السابق: ج ٣ ص ١٩٥ ود.سعيد عاشور: ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ص٨٢.





العباسية ظلت تنهض بمسئولياتها وتعمل قدر طاقتها على توحيد جهود المسلمين لمواجهة الأخطار الخارجية المتمثلة في الصليبيين والمغول.

وعندما بلغ الناصر داود نبأ وفاة الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م حزن حزناً شديداً لعمق العلاقة التي كانت بينهما<sup>(١)</sup>.

وفاة الصالح أيوب ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م

عاد السلطان الصالح أيوب من بلاد الشام مريضاً محمولا في محفة لشدة مرضه ومع ذلك فقد قام بتنظيم شئون الدفاع عن مصر إزاء حملة لويس التاسع غير أن القدر لم يمهلته فتوفي بالمنصورة في ١٥ شعبان ٦٤٧هـ / نوفمبر ١٢٤٩م بعد أن عهد لابنه المعظم توران شاه<sup>(٢)</sup> بولاية العهد أثناء مرضه<sup>(٣)</sup>.

(١) وقد رثاه بقصيدة جاء فيها قوله:

أيا رنة الناغي عبثت بسمعي  
نعيت إلى اليأس والجود والحجي  
روبدأ فقد فاجأتني بفظيعة  
لقد كنت لي حصناً حصيناً من العدى  
سأبكيه أيام الحياة وإن أمت  
فأجبت نار الحزن ما بين أضلعي  
فأوقفت آمالي وأجريت دمعي  
يضيق بها صدر الفضاء الموسع  
إليه التفاتي في الخطوب ومفزعي  
بكته عظامي في قرارة مضجعي

ابن واصل: مفرج الكروب ج ٥ ص ٣١٨ - ٣٢١ والقصيدة مكونة من ٤٥ بيتاً

(٢) توران شاه: المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب، وولاه أبوه على حصن كيفا في الشرق، وكان يستدعيه فلا يجيبه، لذلك كان يكرهه، وقد قتل في المحرم سنة ٦٤٨هـ / ١٢٤٨م، وبمقتله انقضت دولة الأيوبيين بمصر. للمزيد انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥، ص ٨٩، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٤١٧.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٧٥، أبو شامة: ذيل الروضتين: ص ١٨٣، الذهبي: دول الإسلام ج ٢ ص ١٥٢، ١٥٣، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٨، ٢٥٩ / د. عبد المنعم ماجد: مرجع سابق، ص ١٣٩.



وبعد أن خرجت الكرك من حكم الناصر داود، حدثت وشاية تخوف منها الملك الناصر يوسف صاحب حلب، فحين أصاب يوسف المرض في حلب بلغه أن الناصر داود تكلم في الملك، مما جعله يعتقل الناصر داود ويسجنه على ما بدر منه، بعد أن كان مستجيراً به ومقيماً عنده، وبذلك أصبح الناصر داود يعيش في حالة مأساوية وحزن شديد فمملكته محتلة، وأولاده مشردون، وهو سجين بتهمة لا يعرفها.

وقد ظل الناصر داود مسجوناً مدة من الزمن إلى أن تشفع له الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٢ م<sup>(١)</sup> وذلك بعد أن ضاعت منه الكرك، ولم يبق له شيء إلا الوديعة التي أودعها عند الخليفة في بغداد، والتي بذل جهوداً كبيرة لاسترجاعها إلا أنه لم يتمكن من ذلك<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٦٥٣/١٢٥٤ م طلب الناصر داود من الناصر يوسف أن يأذن له في السفر إلى بغداد لكي يقوم بمحاولة أخري من أجل استرداد وديعته، وأن يذهب أيضاً إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج فأذن له الناصر يوسف بذلك<sup>(٣)</sup>

وفي ذلك الوقت حاول الناصر داود استرضاء الخليفة العباسي من أجل الحصول علي وديعته فنظم قصيدة موجهة للمستعصم بالله يمدحه ويستعطفه لأجل إرجاع وديعته فقال:

(١) وهو الخليفة المستعصم بالله عبد الله بن منصور بن محمد (٦٠٩ . ٦٥٦ هـ) آخر خلفاء بني العباسي ببغداد استخلف سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م يوم وفاة ابيه وكان فاضلاً تالياً لكتاب الله متديناً متمسكاً بمذهب أهل السنة والجماعة، وكان قليل المعرفة والتدبير والنتيظ، محباً للمال، مهملًا للأمور، يتكل فيها على غيره، وقد قتله المغول بقيادة هولاكو حين اجتاحتوا بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ١٧٤ الكتبي: وفيات الوفيات ج ١ ص ٥٧٩ ، ٥٨٠.

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ١٦٤

(٣) موسي العليلى: الناصر داود وشعرة الحزين، مجلة المؤرخ العربي عدد ٢٨ سنة ١٩٨٦ م ص ١١٨.



مقامك أعلى في الصدور وأعظم وحلمك أرجي في النفوس وأكرم  
إليك أمير المؤمنين توجهي بوجه رجاء عنده منك أنعم<sup>(١)</sup>

وقد أظهر في قصيدته مدي شجاعته وبطولته في مكافحة الأعداء وتخليص بيت المقدس من الصليبيين، وبأنه يمكن الاعتماد عليه في الأوقات العصيبة، ولكنه لم يحصل على شيء من وديعته لدى الخليفة<sup>(٢)</sup>.

### وفاة الناصر داوود سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م:

بعد أن فشل الناصر داوود في الحصول على وديعته من الخليفة العباسي المستعصم بالله، توجه مع الحجاج إلى بيت الله الحرام ليؤدي مناسك الحج وزيارة قبر الرسول صلي الله وسلم بالمدينة المنورة ، وبعد ذلك اتجه إلى العراق مع الحجاج فوصل إلى بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨<sup>(٣)</sup>.

وعندما علم الخليفة العباسي المستعصم بالله بأمر الناصر ووصوله إلى بغداد أمر بإنزاله في المحلة<sup>(٤)</sup> وحدد له مبلغاً من المال ولكن لم يكن يكفيه وبخاصة لأن الخليفة كان يرسل له من يحاسبه علي نفقاته في ترده إلى بغداد، كما ألزمه أن يكتب بخطه رد وديعته، فكتب بذلك مُكرهاً<sup>(٥)</sup>

(١) أحمد الحنبلي : شفاء القلوب ص ٢٥٣

- وقد ذكر بعض المؤرخين أن قيمة الوديعة كانت مائة ألف دينار، وقد أنكرها عليه الخليفة المستعصم بالله، راجع: الذهبي: مصدر سابق، ج ٣ ص ٣٧٧، وابن كثير: مصدر سابق، ج ١٣، ص ١٨٤.

(٢) ابن أبيك : كنز الدرر ج ٨ ص ١٥

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٥ ص ١٠١

(٤) لعلها محلة الخلفاء التي ينسب إليها رضي الدولة داود بن مقدم بن مظفر المحلى، انظر : ياقوت الحموي معجم البلدان ج ٥ ص ٦٣

(٥) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ١٧١.



وبعد أن ضاق الحال بالناصر داود توجه من بغداد إلى دمشق، وهذا يبين مدى الصعوبات التي لاقاها في هذه الفترة فقد كان ينتقل من مكان إلى مكان دون أن يمتلك الكثير من الأموال، وقد بقي في دمشق وهو في أضييق حال.

ثم تطورت الأحداث بعد ذلك عندما علم المغيـث فتح الدين عمر صاحب الكرك<sup>(١)</sup> بوجود الناصر داود في دمشق حيث شعر بالخوف من أن يكـثر الناصر داود جمعه، ويقصده لاسترجاع الكرك منه، فراسله مخادعا بإظهار المودة، ثم أمر أن يُرسل الناصر داود إلى الشوبك، ويوضع في مطمورة<sup>(٢)</sup> ليحبس فيها كي تتقطع أخباره.

وفي هذه الفترة ظهر خطر المغول في المنطقة وبدأت تظهر تهديداتهم للخلافة العباسية في ذلك الوقت، ومضايقة الخليفة العباسي، وعندئذ كتب الخليفة إلى الناصر صلاح الدين يوسف يستمده بالرجال، وأن يسير إليه الناصر داود مقدماً على من يبعثه إليه من العسكر كي يستخدمها لنصرة الإسلام.

(١) موسي العليي : مرجع سابق ص ١١٩.

والملك المغيـث فتح الدين عمر: (٦٤٨هـ-١٦٦١هـ/١٢٥٠-١٢٦٢م) هو الملك المغيـث فتح الدين عمر ابن الملك العادل ابن الملك الكامل، ولد سنة، ٦٠٦هـ/١٢٠٨م، وكان مقيماً بالقاهرة بقلعة الجبل، وظل فيها حتى مقتل توران شاه، وفي سنة٦٨٤هـ/١٢٥٠م حكم قلعتي الكرك والشوبك، وكانتا تتبعان لسلطان مصر، وقد أقره الناصر يوسف صاحب حلب عليهما، وفي سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م قام الملك الظاهر بيبرس بقتل الملك المغيـث فتح الدين عمر، وبذلك استولى المماليك على الكرك؛ انظر:

أبو شامة: المذيل على الروضتين، ص٦٧، وأبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٢١٦، ود.منذر الحايك: العصر الأيوبي، قرن من الصراعات الداخلية، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق ٢٠١١م، ص٢٧٩.

(٢) مطمورة: مكان تحت الأرض قد هيئ ليظمر فيه البر والفول ونحوه، والسجن، ج مطامير، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (ط/م/ر).



ووصل رسول الخليفة إلى مكان الناصر داود، ففرح فرحاً شديداً، ونسي التفكير في وديعته وممتلكاته وتطلع إلى خدمة الإسلام، فتوجه إلى الشام ونزل في البويضاء بظاهر دمشق<sup>(١)</sup> وبدأ بتجهيز الجيش، وإعداد العدة لحرب المغول تحت راية الخليفة، ويذكر صاحب كتاب شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، أن الناصر داود قال: " إني قد بعث نفسي من الله تعالى، وما توجهي لطلب دينار وإنما مقصودي أن أبذل نفسي في سبيل الله، لعل الله تعالى يجعل علي يدي نفعاً للمسلمين أو تحصل لي الشهادة في سبيله<sup>(٢)</sup> "

ومن خلال هذا النص يلاحظ الباحث أن الناصر داود أراد أن يتقرب إلى الله عز وجل ويحقق هدفاً في حياته بعد أن ظل مشرداً لفترة، ويعيش حالة مأساوية ويتنقل بين البلاد، ولكن تطورت الأحداث بعد ذلك؛ فقد ملك التتار بغداد وقتلوا الخليفة العباسي، فتفرق عن الناصر داود أصحابه ولحق ببعضهم مرض الطاعون الذي انتشر في تلك الفترة<sup>(٣)</sup>

وقد أصيب به الناصر داود نفسة، حتى مات ليلة السبت في السادس والعشرين من جمادي الأولى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م، فخرج الناصر يوسف إلى قرية البويضاء، وحزن هو وجماعته عليه، وحملوه إلى الشام فدفنوه قرب قبر والده المعظم عيسى الأيوبي<sup>(٤)</sup>

وبعد وفاته قال ابن واصل:

(١) أبو الفدا: المختصر، ج ١، ص ٤٤٥، والذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٨، ص ٢٤٥.

(٢) أحمد الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٣٥٦.

(٣) اليونيني: مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٣٨١، ابن الوردي: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩٢،

وابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٤٦٣، والبيغدادي: هدية العارفين، ج ٥، ص ٣٦٠.



"وجدنا منه إحساناً كبيراً، وتفضلاً زائداً، وشاهدنا ملكاً ذا فضل باهر، وعلم زاخر"<sup>(١)</sup>

وهكذا توفى صاحب الكرك بعد أن عانى كثيراً في سبيل حكمها، وواجه الكثير من المصائب، وعاش في ظروف غير مستقرة بين حرب وسلم، ومؤامرات ودسائس، وتنتقل بين البلاد الإسلامية، وقد حزن عليه الملك الناصر يوسف، وأظهر التأسف عليه، وقال: "هذا كبيرنا وشيخنا"<sup>(٢)</sup>

(١) ابن واصل: مصدر سابق، ج٤، ص ٣٣٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص ٣٨١، والصفدي: الوافي بالوفيات ج١٣، ص ٣٠١.

## أهم نتائج البحث

بعد العرض السابق لموضوع الناصر داود صاحب الكرك، ودوره في النزاع الداخلي للأسرة الأيوبية، سنة (٦٢٤-٦٥٦هـ / ١٢٢٧-١٢٥٨م) يمكن استنتاج أهم النقاط التالية :

- ١- أن الصراع الشديد بين خلفاء صلاح الدين الأيوبي أدى إلى تفكك الدولة الأيوبية وأظهر افتقارهم إلى الكثير من مقومات القيادة العسكرية والسياسية .
- ٢- ظهر من خلال هذا البحث مدى تأثير المنازعات بين أبناء البيت الأيوبي واستغلال الصليبيين لهذه المنازعات في استرداد كثير من المناطق التي فتحها صلاح الدين.
- ٣- أثبتت الدراسة أن الصراع على السلطة كان سمة بارزة في تاريخ الدولة الأيوبية، ولم يتوقف هذا الصراع حتى سقوط الدولة.
- ٤- كان الناصر داود على علاقة جيدة بالخلافة العباسية حيث اتسمت العلاقة بينهما بالوفاق والود واعتراف من الخلافة العباسية .
- ٥- نجح الناصر داود في استرداد بيت المقدس من الصليبيين سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م .
- ٦- أظهرت الدراسة نبوغ الناصر داود في شتى العلوم وفي إجادته وقوله للشعر وأنه كان معنياً بالكتب النفيسة وحصل منها جملة كثيرة وكان فقيها حنفياً ذكياً .
- ٧- أظهرت الدراسة مدي حب أهل دمشق جميعهم للناصر داود والدفاع عنه في كل وقت والوقوف إلى جواره في كل المحن التي تعرض لها .
- ٨- ظهر من خلال هذا البحث أن الناصر داود قضى عمره في أسوأ حال مشرداً عن الأوطان معكوس المقاصد .



٩- دخل الناصر داود في صراع طويل مع عميه الكامل والأشرف فأخذوا دمشق منه مما اضطره إلى الانتقال إلى الكرك .

١٠- أظهرت الدراسة أن المصلحة الشخصية لملوك وأمراء بني أيوب غلبت على المصلحة العامة للمسلمين، مما أدى إلى كثرة التحالفات الخارجية .

والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة،،،





## ملحق (١)

ثبت بأسماء الحكام الأيوبيين في دمشق والكرك، والخلفاء العباسيين في بغداد

(أ) الأيوبيون في دمشق:

الأفضل نور الدين علي	٥٨٩-٥٩٢هـ / ١١٩٣-١١٩٦م
العادل الأول أبو بكر	٥٩٢ - ٦١٥ هـ / ١١٩٦-١٢١٨م
المعظم عيسى	٦١٥-٦٢٤هـ/١٢١٨-١٢٢٧م
الناصر داود	٦٢٤-٦٢٦هـ / ١٢٢٧-١٢٢٩م
الأشرف موسى	٦٢٦-٦٣٥هـ / ١٢٢٩-١٢٣٧م
الصالح إسماعيل (المرّة الأولى)	٦٣٥هـ/١٢٣٧م
الكامل محمد	٦٣٥هـ / ١٢٣٨م
العادل الثاني بن الكامل	٦٣٥-٦٣٦هـ/١٢٣٨-١٢٣٩م
الصالح نجم الدين أيوب (المرّة الأولى)	٦٣٦-٦٣٧هـ/١٢٣٩م
الصالح إسماعيل (المرّة الثانية)	٦٣٧-٦٤٣هـ / ١٢٣٩-١٢٤٥م
الصالح نجم الدين أيوب (المرّة الثانية)	٦٤٣-٦٤٧هـ/١٢٤٥-١٢٤٩م
المعظم توران شاه	٦٤٧-٦٤٨هـ/١٢٤٩-١٢٥٠م
الناصر يوسف	٦٤٨-٦٥٨هـ/١٢٥٠-١٢٦٠م



## ب) الحكام الأيوبيون في الكرك:

العادل الأول أبو بكر	٥٨٤ - ٦١٥ هـ / ١١٨٨ - ١٢١٨ م
المعظم عيسى	٦١٥ - ٦٢٤ هـ / ١٢١٨ - ١٢٢٧ م
الناصر داود	٦٢٤ - ٦٤٧ هـ / ١٢٢٧ - ١٢٤٩ م
الصالح نجم الدين أيوب	٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م
المعظم توران شاه	٦٤٧ - ٦٤٨ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٥٠ م
المغيث عمر	٦٤٨ - ٦٥٨ هـ / ١٢٥٠ - ١٢٦٠ م

## ج) الخلفاء العباسيون في بغداد:

الناصر لدين الله	٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م
الظاهر بأمر الله	٦٢٢ - ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٦ م
المستنصر بالله	٦٢٣ - ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٢ م
المستعصم بالله	٦٤٠ - ٦٥٦ هـ / ١٢٤٢ - ١٢٥٨ م





## أهم المصادر والمراجع

- \* ابن الأثير (علي بن أحمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م) الكامل في التاريخ . دار الكتاب العربي . القاهرة . ١٩٨٦م.
- \* إبراهيم حسن سعيد -الجيش في عصر سلاطين المماليك- ماجستير- القاهرة- ١٩٨١م.
- \* إبراهيم علي طرخان - مصر في عصر المماليك الجراكسة ١٣٨٢- ١٥١٧م، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٠م
- \* أحمد بن إبراهيم الحنبلي (ابن نصر الله ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية
- \* ابن أبيك الداودار (أبو بكر بن عبد الله، ٧٣٦هـ/١٣٣٦م) - كنز الدرر وجامع الغرر-ت-دسعيد عاشور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٧٢م.
- \* باشا، عمرو موسى باشا - الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك . دمشق ١٩٦٤م
- \* البغدادي (إسماعيل باشا) - هدية العارفين، أسماء المؤلفين والمصنفين، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
- \* ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): -النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة.
- \* حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله ت ١٠٦٧م): - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إستنابول ١٩٤١م.
- \* جمال الدين الشيال: - تاريخ مصر الإسلامية، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- \* جوزيف نسيم يوسف:
- العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.



- \* . جوناثان رايلي سميث:
- الإستبارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، ترجمة صبحي الجابي، دمشق ١٩٨٩م.
- \* حسين محمد عطية: -إمارة أنطاكية الصليبية، ماجستير، القاهرة، ١٩٨١م.
- \* الحميري (عبد المنعم الحميري ت ٨٦٦هـ) - الروض المعطار في خبر الأقطار، ط لبنان، ١٩٧٥م.
- \* ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط إحسان عباس.
- \* الذهبي (شمس الدين محمد ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) - سير أعلام النبلاء، ت بشار عواد ومحي هلال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- \* رائد أحمد صالح: - مدينة غزة دراسة في جغرافية المدن، مطبعة الرنتيسي، فلسطين.
- \* . زنيه كروسيه: - الحروب الصليبية، صراع الشرق والغرب، ترجمة أحمد إبيش، دمشق ٢٠٠٢م.
- \* . السبكي (عبد الوهاب ت ٧٧١هـ) - طبقات الشافعية، تحقيق محمد الطباي، ١٩٦٤م.
- \* . ستيفن رنسيومان: - تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د/السيد الباز العريني، ط ٣، بيروت، ١٩٩٣م.
- \* د. سعيد عبد الفتاح عاشور - ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية، بحوث ودراسات تاريخ العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧١م.
- \* د/السيد الباز العريني: الشرق الأدنى في العصور الوسطى "الأيوبيون"، ط القاهرة، ١٩٧١م.



- \* . السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العلمية.
- \* . ابن شاکر الکتبي (أبو عبد الله محمد، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) - فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
- \* . أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل، ت ٦٦٥هـ/١٢٦٨م) - تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين المعروف بالذيل على الروضتين، ط دار الجيل، بيروت.
- \* . الصفدي (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) - الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- \* . د عبد المنعم ماجد: - الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، التاريخ العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- \* . ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) - مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- \* . ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم ت ٦٠٦هـ/١٢٠٨م) - بغية الطلب في تاريخ حلب، ت سهيل زكار، دار الفكر ، لبنان.
- \* . د علي محمد الغامدي - بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، رسالة دكتوراه، القاهرة، ١٩٨٦م.
- \* . ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي ١٠٨٩هـ / ١٦٨٤م) - شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ت محمد الأرناؤوط . لبنان، ١٩٨٦م.
- \* . العيني (بدر الدين محمود ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ت محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٨م.
- \* . فادي عبد الرحيم: - الحركة الشعرية في بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز، ماجستير، نابلس، فلسطين، ٢٠١٠م.



- \* أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٣م) - المختصر في أخبار البشر، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م.
- \* د/ قاسم عبده قاسم: - ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م.
- \* القرمانى (أحمد بن يوسف ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م) - أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ت أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م.
- \* ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٠م) - البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
- \* محمد محمد شراب - معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٧م.
- \* مصطفى عبد الكريم: - معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٩٦م
- \* المقزيري (نقي الدين أحمد ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) - السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب المصرية، ١٩٣٤م.
- \* د منذر الحايك: - العصر الأيوبي، قرن من الصراعات الداخلية، دمشق، ٢٠١١م.
- \* موسى العليلي: - الناصر داود وشعره الحزين، مجلة المؤرخ العربي، ١٩٨٦م، عدد ٨٢.
- \* ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل ت ٧١١هـ / ١٣١١م) - لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- \* ناجي معروف: - تاريخ علماء المستنصرية، ط دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٥م.
- \* نضال حاج أبو بكر: - أسرة شيخ الشيوخ ابن حموية في العصر الأيوبي، ماجستير، دمشق، ٢٠٠٨م.



- \* . النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٣م) - نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- \* - ابن واصل (جمال الدين محمد ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ت حسنين ربيع، القاهرة، ١٩٧٢م.
- \* - د/ وفاء محمد علي: -دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٩م.
- \* - ابن الوردي (عمر ابن الوردي ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) - تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي، العراق ١٩٦٩م.
- \* - اليافعي (أبو محمد عبدالله ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) - مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت ١٩٩٧م.
- \* - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) - معجم البلدان، دار صادر بيروت، ١٩٧٤م
- \* يحيى عبد الرؤوف جبر: - معجم البلدان الأردنية والفلسطينية حتى نهاية القرن الهجري السابع، دار اللوتس للنشر، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٨٨م
- \* - اليونيني (قطب الدين موسى ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) - ذيل مرآة الزمان، ط الهند، (دبت)

**Cambell (G) - the crusades, London 1935.**

**Conder (C. R) - The latin kingdom of Jerusalem (1099 -1291) . London,1897.**

**Kerr (Antony) The crusades, London 1966**

**.king – E :the knights hospitallers the holyland LONDON 1913**

**lane pool (stanly) :- The history of Cairo, London 1952.**

**MAYER, (H,E) :- The crusades, London 1972.**

**Michaud ( J . F ):- Histoire des croisades, tome , 2-3 , paris , 1816 – 1822**

**OMAN: C :a history of the art of war middle ages LONDON 1924**

**Painter ,( Sidney ):- A History of The middle, Ages , London, 1975.**

**Van cleve, (Tomas.c) :- The Fifth Crusade, . London, 1958.**